بدع الرافضة والمتصوفة في تفسير الزمخشري
" بين السياق والدلالة "

د/ عبدالهادي أحمد سيد عبدالعال
المدرس في قسم البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بالمنوفية جامعة الأزهر.
والأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة حائل.

المُلخَص

يتناول البحث بعض الأقوال التي خرجت عن مقصد الله ـ تعالى ـ ومراده، فضلا عن مقتضى السياق وغرضه مما صرّح به الإمام "الزمخشري". رحمه الله ـ بأنه من بدع الرافضة، أو بدع المتصوفة، ويتم ذلك من خلال تعريف موجز بالإمام الزمخشري، ثم تناول مفهوم البدعة، والرافضة، والمتصوفة، والسياق، والدلالة، ثم عرض هذه الأقوال ومناقشتها بلاغيا في هَدْي السياق عامه وخاصه، ومن ثَمَّ بيان خطئها، والرد عليها، محاولة للدفع عن كتاب الله، والذّود عن مراده قدر الاستطاعة، بما استنتجه العقل من صحيح النقل، ودقيق النظر؛ رغبة في بيان خطورة هذه البدع، والتحذير منها، سائلًا الله سبحانه أن يجعله في ميزان حسناتي، وما توفيقي إلا بالله .

كلمات مفتاحية: بدع ـ الرافضة ـ المتصوفة ـ السياق ـ الدلالة ـ الغرض ـ بلاغة.

مُقَدِمَةٌ :

الحمد لله رب العالمين، حمدا توجبه سوابغ نعمه، فإن نعمة واحدة لا يوفيها بعض حقها حمد الحامدين دهر الداهرين وأبد الآبدين .

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا مُحَمَّد بما هو أهله إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين .

و بعـــــــــد ،،،،

فإن أشرف العلوم على الإطلاق، وأولاها بالتفضيل على الاستحقاق، وأرفعها قدرًا بالاتفاق ما يتعلق بتفسير كلام الحق – عز وعلا - إذا كان على الوجه المعتبر في الورود والصدر، غير مشوب بشيء من الكدر الذي هو من أعظم الخطر، وهذه الشرف واضح للأفهام والأذهان، غني عن البرهان، يعرفه من يعرف الفرق بين كلام الخلق وكلام رب الخلق، ويدركه من يميز بين كلام البشر وكلام خالق القوى والقُدَر.

وقد صدق رسول الله ـ ﷺ ـ حيث يقول: "فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه"[1].

وقد ظهرت بعض التفاسير و بعض الأقوال التي خرجت عن مقصد الله - تعالى - ومراده، و مشهور اللغة وقواعدها، فضلا عن مقتضى السياق وغرضه، فقمت بالبحث عن جانب منها ـ هو ما صرح به الإمام " الزمخشري" ـ رحمه الله ـ بأنه من بدع الرافضة، أو بدع المتصوفة ـ وجمعه، ثم عرضه وتحليله، ومن ثَمَّ بيان خطئه والرد عليه، فكان هذا البحث محاولة للدفع عن كتاب الله قدر الاستطاعة، والذّود عن مراده ما أمكن الجهد وأسعف العقل بما استنتجه من صحيح النقل، ودقيق النظر، آملا منه سبحانه العصمة من الخطأ، أو

(١) الترمذي السلمي، محمد بن عيسى أبو عيسى (الجامع الصحيح.سنن الترمذي) تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ١٨٤/٥. حديث رقْم ٢٩٢٦ دار إحياء التراث العربي – بيروت، وقال: حديث حسن غريب، الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن، ١٤٠٧ هـ (سنن الدارمي) تحقيق فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي ٥٣٣/٢ ، حديث رقم ٣٣٥٦ ، ٣٣٥٧ الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي بيروت، للسيوطي (جمع الجوامع أو الجامع الكبير) ١ /٧٥٤٩ برقم ١٣٣٦ موقع ملتقى أهل الحديث (http://www.ahlalhdeeth.com) ، المتقي الهندي، علي بن حسام الدين، ١٩٨٩ م (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) ١/ ٨٢٢ برقم ٢٣٦٠ مؤسسة الرسالة – بيروت.

الزلل، والتوفيق إلى الصواب، وحسن العمل، وأسميته: بدع الرافضة والمتصوفة في تفسير الزمخشري " بين السياق الدلالة " .

وهي العبارة التي استخدمها الزمخشري نفسه في التعبير عن هذه البدع .

وقد جاءت هذه الدراسة في: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، بعدها خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم فهرس للمصادر والمراجع .

المقدمة : وفيها ذكرت سبب اختيار الموضوع، وخطته، والمنهج الذي سرت عليه فيه .

التمهيد: وعرفت فيه بإيجاز بالإمام "الزمخشري "، وكتابه، ثم مفهوم البدعة، والرافضة، والمتصوفة، والدلالة، والسياق .

المبحث الأول: ما وصفه الزمخشري بأنه من البدع التي رويت عن الرافضة .

المبحث الثاني: ما وصفه "الزمخشري" بأنه من بدع تأويلات الرافضة .

المبحث الثالث: ما وصفه الزمخشري بأنه من بدع المتصوفة .

وقد جاء منهج الدراسة في هذا البحث على النحو التالي :

١ ـ جمعت هذه البدع الواردة في"الكشاف"، واعتمدت على ما ذكر صراحة "نصا" أنه من بدع الرافضة، أو المتصوفة، فكانت جملة هذه البدع ثلاثا.

٢ ـ ذكرت الآية القرآنية التي فيها الكلمة التي وصف "الزمخشري" تفسيرها بأنه من بدع الرافضة أو المتصوفة، مع بيان اسم السورة، ورقم الآية.

٣ ـ ذكرت نص كلام الزمخشري في كل موضع كما ورد في كتابه، ثم أعقبته بأقوال المفسرين وأهل اللغة فيه، مُرجحًا أو مُضعِّفًا ـ قدر استطاعتي وجهدي ـ بما يلائم سياق كل موضع، ويقتضيه نظمه، مع الاستشهاد ببعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية متى احتاج الأمر ذلك، ثم توثيق ما استشهدت به من مصادره المعتمدة .

٤ ـ استعنت ببعض ما جاء في التفسير العلمي الحديث لبعض الظواهر الكونية حين استدعى الأمر ذلك، حتى لا يكون التفسير أو الترجيح منفصلا عن الواقع العلمي المعاصر، أو العصر الذي نعيش فيه.

٥ ـ الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

٦ ـ فهرس المصادر والمراجع .

وختامًا آمل أن أكون قد وفقت فيما عرضت له، سائلًا الله أن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة إنه ولي ذلك، والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم .

د/ عبدالهادي أحمد سيد عبدالعال

تمهيد

أولًا ـ الزمخشري:

نسبه :

هو: أَبُو القَاسِمِ مَحْمُوْدُ بنُ عُمَرَ بنِ مُحَمَّدٍ الزَّمَخْشَرِيُّ، الخُوَارِزْمِيُّ، النَّحْوِيّ، المفسر، صالح لكنه داعية إلى الاعتزال، وكنيته أبو القاسم [٢] .

مولده نشأته:

كَانَ مَوْلِدُهُ بِزَمَخْشَرَ ـ قرية كبيرة من قرى خوارزم، يوم الأربعاء ١٧رجب سنة ٤٦٧هـ .

رحلَ وَسَمِعَ بِبَغْدَادَ مِنْ: نَصْرِ بنِ البَطِرِ، وَغَيْرِهِ .

حَجَّ ، وَجَاو ، وَتَخَرَّجَ بِهِ أَئِمَّةٌ .

رَوَى عَنْهُ بِالإِجَازَةِ: أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيّ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ الشَّغْرِيّ .

وَرَوَى عَنْهُ إِسْمَاعِيْلُ بنُ عَبْدِ اللهِ الخُوَارِزْمِيُّ، وَأَبُو سَعْدٍ أَحْمَدُ بنُ مَحْمُوْدٍ الشَّاشِيُّ، وَغَيْرُهُمَا .

وكَانَ رَأْسًا فِي البلاغَةِ وَالعَرَبِيَّةِ وَالمَعَانِي وَالبيَانِ، وَلَهُ نَظْمٌ جَيِّدٌ...

آثاره :

لَهُ مؤلفات كثيرة [٣]، أشهرها : أساس البلاغة في اللغة ، الكشاف عن حقائق التنزيل، ديوان شعر... .

---

(٢) الذَهَبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد "سير أعلام النبلاء" تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٤٥/٣٩ .١٤٧.

(٣) منها: أساس التقديس، أسرار المواضع، أطواق الذهب، أعجب العجب شرح لامية العرب مطبوع في القسطنطينية، أمالي، أنموذج في مختصر المفصل له، جواهر اللغة، خصائص العشرة الكرام البررة، ديوان التمثل، ديوان الرسائل، الرائض في الفرائض، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار في الأدب والنوادر، الرسالة المبكية، الرسالة الناصحة، رؤوس المسائل في الفقه، زيادات النصوص، سوائر الأمثال، شافي العي من كلام الإمام الشافعي، شرح أبيات الكشاف، شرح كتاب سيبويه، شرح مختصر القدوري في فروع الحنفية، شقائق النعمان في مناقب النعمان الإمام أبي حنيفة، صحيح العربية، ضالة الناشد، طلبة العفاة في شرح التصرفات، الفائق ونسيم الرائق في غريب الحديث، فصوص الأخبار، فصوص النصوص، القسطاس في العروض، كتاب الأمكنة والجبال والمياه، كلمات العلماء، متشابه أسامي الرواة، المحاجاة ومتمم مهام أرباب الحاجات في الأحاجي والأغلوطات، المستقصى في الأمثال، معجم الحدود، المفرد والمركب في العربية، المفرد والمؤلف في النحو، المفصل في النحو، المقامات ، مقدمة الأدب في اللغة، مناسك الحج ، المنتخب من ضالة المنشد، المنهاج في الأصول، نزهة المتأنس ، نصائح الصغار، نصائح الكبار، نصائح الملوك، نوابغ الكلم. يراجع في ذلك: القنوجي، صديق

وفاته : توفي ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ - ١١٤٣م في جرجانية خوارزم، بعد رجوعه من مكة .

ثانيا ـ كتاب الكشاف:

سماه الكشاف، وهو كشاف حقيقة، فسر فيه ما في القرآن من الآيات المتشابهة في الصفات وغيرها بوجوه من المجاز أو الاستعارة التمثيلية على طريقة علماء البيان، ومكنه رسوخه في هذا العلم من تطبيق ذلك في يسر وسهولة، من غير تعسف ولا استكراه، مع ما يبديه ـ أحيانًا ـ من تناسب بين الآيات حتى تبدو للقارئ واضحة الترابط، آخذًا بعضها بحُجْزَة بعض؛ لذا يمكن القول بأن كل من كتبَ بعده في التفسير من الناحية البلاغية عالة عليه .

احتشد له مؤلفه؛ ليخرجه في أبهى حلة بيانية، وأبدع في بيان نكته ما شاء الله له أن يبدع ـ خصوصًا النصف الأول منه فقد اعتراه في النصف الثاني ملال ـ كشف النقاب عن وجوه إعجاز القرآن البلاغية، والأسلوبية، واللغوية، فضلا عن دقة معانيه وسلامة ألفاظه، مما كان له الأثر الكبير في عجز العرب عن معارضته، أو الإتيان بمثله .

ذكر فيه الشواهد العربية التي وصلت إلى ألف بيت، واهتم بالإعراب والنحو، وعرض باختصار شديد إلى المسائل الفقهية في آيات الأحكام، وبينها باعتدال من دون تعصب لمذهبه (الحنفي)، وعرض ـ أحيانًا ـ لبعض الروايات الإسرائيلية، وكان يصدرها بلفظ "روي" الذي يشعر بضعف الرواية وبُعْدِها عن الصحة، وختم كل سورة بحديث يُبين فضلها، وثواب قارئها ، لكن هذه الأحاديث التي ذكرها أكثرها ضعيف أو موضوع [٤] .

غير أنه استغل تفسيره لنشر مبادئ المعتزلة، والانتصار لهم، وتأييد عقائدهم بكل ما أوتي من قوة الحجة، وسلطان الدليل، وحاول جهده أن يتذرع لذلك بالمعاني اللغوية؛ لتطبيق مذهبه الاعتزالي على آيات القرآن الكريم[٥] ومن ثم حذّر العلماء قارئيه من الاعتزاليات الاعتقادية المبثوثة في تضاعيفه [٦] .

كما أنه أنكر بعض القراءات الصحيحة المشهورة وتهجم عليها، أو وجمها بما يفيد أن القراءة مسألة اجتهادية، وكان مولعا بحكاية القراءات الشاذة، وتكلف في توجيهها بغرائب اللغة، ونوادر الإعراب .

قال أبو حيان: "وهذا على عادته في تغليط القراء وتوهيمهم" [٧] .

وتعرض لمقام النبي ـ ﷺ ـ بالسوء عند قوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[٨]؛ حيث قال: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾ كناية عن الجناية؛ لأن العفو رادف لها، ومعناه: أخطأت وبئس ما فعلت"[٩].

حتى قال عنه أبو حيان: "وكلام الزمخشري... مما يجب اطّراحه، فضلًا عن أن يذكر فيردّ عليه"[١٠].

وقال السبكي:" واعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه، ومصنفه إمام في فنه، إلا أنه رجل مبتدع مجاهر ببدعته، يضع من قدر النبوة

بن حسن،(١٩٧٨م) " أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم" تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية بيروت (موقع المكتبة الشاملة)٣٠/٣ ، سير أعلام النبلاء ٣٩/ ١٤٧، البابانى، "هدية العارفين هدية" ٢ /١٦٠ موقع الوراق http://www.alwarraq.com ، الحموي، ياقوت "معجم الأدباء" ٢ /٤٥٥ وما بعدها موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com)، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (١٩٩٤م) "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" تحقيق إحسان عباس الطبعة الأولى، دار صادر بيروت ٥ /١٦٧ وما بعدها ، ميزان الاعتدال ٧٨/٤، العكري الدمشقي، عبد الحي بن أحمد " شذرات الذهب في أخبار من ذهب" طبع دار الكتب العلمية من دون ١١٧/٤ وما بعدها ، الأعلام ١٧٨/٧ (موقع يعسوب الإلكتروني) .

(٤) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (١٤٠٦هـ) "منهاج السنة النبوية" تحقيق د. محمد رشاد سالم الطبعة الأولى، مؤسسة قرطبة،٩١/٧ ، ابن تيمية،(١٤١٧هـ) "الرد على البكري تلخيص كتاب الاستغاثة" تحقيق محمد علي عجال الطبعة الأولى، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة، ١ /٧٣ .

(٥)ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) "مجموع الفتاوى" تحقيق أنور الباز ، عامر الجزار الطبعة الثالثة، دار الوفاء، ١٣ / ٣٥٧، ٣٨٦، ٣٨٨، الذهبي "ميزان الاعتدال" تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان، ٧٨/٤.

(٦) الألوسي "روح المعاني" دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٠ /١٠٩.

(٧)الأندلسي، أبو حيان "تفسير البحر المحيط" دار الفكر بدون، ١٥٦/٢.

(٨) سورة التوبة: ٤٣.

(٩) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢ /٢٦١.

(١٠) تفسير البحر المحيط ٣٧/٥ .

كثيرًا، ويسيء أدبه على أهل السنة والجماعة ، والواجب كشط ما فيه من ذلك كله"[١١].

ثالثًا ـ البدعة:

البدعة تدور في اللغة حول معنى (الإحداث والأولية): الاختراع والإحداث على غير مثال سابق، قالَ ابنُ السِّكِّيت: " البِدْعَةُ: كُلُّ مُحْدَثَةٍ "، قال ابن منظور: "البدعة في اللغة من بدع الشيء يبدعه بدعاً، و ابتدعه: أنشأه وبدأه، والبدع: الشيء الذي يكون أولا"[١٢]، قال الرازي: " أبدع الشيء: اخترعه لا على مثال" [١٣].

وتدور في الشرع حول الإحداث في الدين بعد الإكمال ، قال الجوهري: " البِدْعَةُ، بالكَسْر: الحَدَثُ في الدِّينِ بَعْدَ الإِكْمَالِ"[١٤]، ذكر ابن الجوزي أن البدْعَةُ في عُرْفِ الشَّرْعِ: ما يُذَمُّ ؛ لِمُخَالَفَتِهِ أُصُولَ الشرَّيعَةِ، ولم يوافق السُّنَّة [١٥]. وذكر الجرجاني أنها" الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي [١٦]"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب" [١٧]، وقال الكفوي: " هِيَ ما اسْتُحْدِثَ بَعْدَ النَّبِيّ (ﷺ) مِنَ الأَهْوَاءِ" [١٨]، والآراء الفاسدة ، والإعمال في أمر الدين. وهذا موافق لما ذكره: ابن منظور، الفيروزبادي، الرازي، الزبيدي[١٩]، وقال ابن رجب: " والمراد بالبدعة: ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعة لغةً " [٢٠]

وقال أيضًا: " فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه؛ فهو ضلالة، والدين منه بريء " [٢١]

وقال ابن حجر: " والمراد بقوله:"كل بدعة ضلالة"ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام" [٢٢]، ونقل عن الشافعي قوله: " الْبِدْعَة بِدْعَتَانِ:مَحْمُودَة وَمَذْمُومَة، فَمَا وَافَقَ السُّنَّة فَهُوَ مَحْمُود وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ مَذْمُوم " [٢٣]

وعليه فهي تطلق على ما يمدح ويذم ، فما وافق منها أصلًا من أصول الدين فهو محمود، وما خالف ذلك فهو مذموم، قال ابن فارس:" الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعُه لا عَنْ مِثال، والآخر الانقطاع والكَلال .

فالأول قولهم: أبْدعْتُ الشيءَ قولًا أو فِعلًا: إذا ابتدأتُه لا عن سابق مثال . والله بديعُ السّمواتِ والأرض. والعرب تقول: ابتدَعَ فلان الرَّكِيَّ إذا استنبَطَه. وفلانٌ بِدعٌ في هذا الأمر. قال الله تعالى: "قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ"[٢٤]، أي: ما كنتُ أوّل .

والأصل الآخر قولهم: أُبْدِعَتِ الراحلةُ، إذا كَلّت وعَطِبت، وأُبدِع بالرَّجُل، إذا كَلَّتْ رِكابُه أو عَطِبت وبقي مُنْقَطَعًا به.

---

(١١)السبكي، تاج الدين (معيد النعم ومبيد النقم) صـ ٨٠.

(١٢) لسان العرب (ب د ع)، وينظر القاموس المحيط (ب د ع).

(١٣) مختار الصحاح الرازي (ب د ع) .

(١٤) تاج اللغة وصحاح العربية: (ب د ع).

(١٥)ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي إبن عبيدالله بن حمادي بن أحمد بن جعفر (١٩٨٥م)"غريب الحديث" تحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية – بيروت، ٦١/١ ، ابن الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) "النهاية في غريب الحديث والأثر" تحقيق طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية – بيروت، ٢٦٧/١.

(١٦) الجرجاني "التعريفات"٦٢/١ .

(١٧) ابن تيمية (١٤١٦هـ ١٩٩٥م) "مجموع الفتاوى" الإصدار الثاني دراسة وتحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية – إعداد موقع روح الإسلام ١٠٩/٤٧.

(١٨) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني(١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) " كتاب الكليات" تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص ٣٦٣ .

(١٩) يراجع: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح، تاج العروس: (ب د ع).

(٢٠) ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد(١٤٠٨هـ) "جامع العلوم والحكم" الطبعة الأولى، دار المعرفة – بيروت(الشاملة) ٢٦٦/١ .

(٢١) جامع العلوم والحكم ٢٢٦/١ .

(٢٢) فتح الباري ٣٣٠/٢٠ موقع الإسلام –http://www.al islam.com، يراجع في ذلك لمن أراد المزيد الجيزاني، محمد " قواعد معرفة البدع" صـ ٥ ، وما بعدها (المكتبة الشاملة) .

(٢٣) فتح الباري ٣٣٠/٢٠.

(٢٤) سورة الأحقاف: ٩.

وفي الحديث: "أنّ رجلًا أتى النبي ـ ﷺ ـ فقال يا رسول الله ، إنّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي " [٢٥].

ويقال : الإبداع لا يكون إلا بطَلْع .

ومن بعض ذلك اشتُقّت البِدْعة [٢٦].

وعليه فالبدعة في التفسير هي كل ما تسلل إلى تفسير كتاب الله ـ تعالى ـ وامتزج به بفعل مؤثرات معينة، من آراء فاسدة، وأفكار شاذة، وأحكام غريبة، وغيرها من المعاني والمفاهيم المرفوضة التي لا أصل لها في الدين ولا في اللغة العربية، الخارجة عن أُطر التفسير التي اشترطها العلماء الثقات لتفسير كتاب الله (تعالى)، والدليل على ذلك قول النبي(ﷺ) " مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ"[٢٧] .

وهي مخالفة شرعية يجب التحذير منها والنفور عنها؛ لأنها من الأمور المستحدثة التي جاءت على خلاف ما أمر الله ورسوله به .

ولما كانت بدع التفاسير لا تقوم على قواعد اللغة، ولا تستمد روحها ومقوماتها من كتاب الله، وسنة رسوله، والمأثور الصحيح عن الصحابة والتابعين وغيرها من الركائز والأسس التي اعتمدها العلماء المحققون [٢٨] في تفسير كتاب الله ـ عز وجل ـ حكم العلماء المسلمون بحرمتها، وعكفوا على تعريتها وكشف زيفها؛ انطلاقًا مما أوجبه الله ـ تعالى ـ عليهم من الدفاع عن كتابه، والذّود عن شريعته .

رابعا ـ الرافضة:

الرافضة لغة واصطلاحاً:

الرفض في اللغة الترك. يقال : رفض يرفض رفضاً، أي ترك.

قال ابن فارس: " الراء والفاء والضاد أصلٌ واحد، وهو التَّرك، ثم يشتقّ منه. يقال رَفَضْتُ الشيءَ: تركته . هذا هو الأصل [٢٩] .

والروافض كل جند تركوا قائدهم وانصرفوا، فكل طائفة منهم رافِضةٌ، والنسبة إليهم رافِضِيٌّ، والرَّوافِضُ قوم من الشِّيعة سموا بذلك؛ لأنهم تركوا زيد بن علي، قال الأَصمعي: كانوا بايعوه ثم قالوا له: ابْرأْ من الشيخين نقاتل معك، فأَبى، وقال: كانا وَزِيرَيْ جَدِّي فلا أَبْرأُ منهما، فرَفَضُوه وارْفَضُّوا عنه؛ فسُمُّوا رافِضَةً، وقالوا: الرَّوافِضَ ولم يقولوا: الرُّفَّاضَ؛ لأَنهم عَنُوا الجماعات [٣٠] .

وفي الاصطلاح: يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية التي رفضت خلافة الشيخين ـ أبي بكر وعمر ـ وأكثر

---

(٢٥) مسند الإمام أحمد: ٣١٣/٢٨، حديث رقم: ١٧٠٨٤. المعجم الكبير : ١٨١/١٢، حديث رقم:١٤٠٥،ابن حبان،محمد بن حبان(١٤١٤هـ ١٩٩٣م)(صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان) تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة بيروت، ٥٥٤/٤، برقم١٦٦٨، قال المحقق: إسناده صحيح على شرطهما(الشيخين).

(٢٦) مقاييس اللغة: (ب د ع)، ابن سلام (١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م) " غريب الحديث " الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ١٠،٩/١.

(٢٧) صحيح البخاري: ٣٦/٧، حديث رقم: ٢٦٩٧. وصحيح مسلم: ١٣٢/٥، حديث رقم: ٤٥٨٩.

(٢٨) **من أن التفسير الصحيح هو الذي يقوم على إطار منهجي وضوابط أهمها أن يكون المعنى المذكور صحيحا في نفسه، مطابقًا للفظ من حيث الاستعمال، سليمًا من التكلف عريًّا من التعسف، غير مبطل قول السلف، ولا مخالف ما صحّ من المأثور، فضلا عن التجرد من الآراء المذهبية، وعدم التمحل في تأويل الآية، واجتناب الوجوه البعيدة في الإعراب، وحمل الآية على ما يتفق مع سياقها، وسبب نزولها، ومع علوم الإعراب، والتصريف، والاشتقاق، والمعاني والبيان، التي هي أوثق العلوم بكتاب الله ـ تعالى ـ والركيزة الأساس التي تعتمد عليها المصادر الأخرى جميعها في تفسيره . وصاحب الكشاف يسمي ما كان على خلاف ذلك بدع التفاسير، ومن يطالع التفاسير لا تخفى عليه هذه القضية، قال ابن أبي الحديد:" اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق من الكلام ـ أمر لا يدرك إلا بالذوق**" ينظر في ذلك: الزركشي (١٣٩١هـ) " البرهان في علوم القرآن" تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة – بيروت، (موقع المتبة الشاملة) ١٢٤/٢، السيوطي(١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) "الإتقان في علوم القرآن" تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب (موقع مكتبة المدينة الرقمية) http://www.raqamiya.org ٢١٤/٤، ابن عاشور(١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م) " التحرير والتنوير" الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ العربي بيروت – لبنان، موقع مكتبة المدينة الرقمية http://www.raqamiya.org ٢٨/١، أبو شهبة، محمد بن محمد " الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير" الطبعة الرابعة مكتبة السنة ص ٣٦.

و" **معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله ـ تعالى ـ وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة**" الإتقان في علوم القرآن: ٢١٥/٤ .

(٢٩) مقاييس اللغة لابن فارس (ر ف ض) .

(٣٠) انظر الصحاح للجوهري ، والقاموس المحيط ، ولسان العرب مادة (ر ف ض) .

الصحابة ، وزعمت أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي ـ ﷺ ـ وأن خلافة غيرهم باطلة [٣١] .

وقد انتشر هذا المذهب انتشاراً واسعاً ؛ بسبب جهل كثير من المسلمين بحقيقة دينهم الإسلامي، و بحقيقة مذهب الرافضة، فضلا عن نشاط هؤلاء الروافض في نشر مذهبهم بشتى الوسائل [٣٢] .

سبب تسميتهم بالرافضة:

أطلقت هذه التسمية على الرافضة لأسباب كثيرة :

أشهرها: أنهم سموا رافضة؛ لرفضهم إمامة زيد بن علي، وتفرقهم عنه [٣٣] .

وقيل : سموا رافضة لرفضهم أكثر الصحابة، ورفضهم إمامة الشيخين، أو لرفضهم الدين [٣٤] .

وقيل إن هذه الطائفة وجدت قبل انضمامها لزيد بن علي ، وكانت عقيدتهم هي الرفض، ولهذا طلبوا من زيد أن يوافقهم على أهوائهم ويتبرأ من الشيخين، فخيب آمالهم فانفصلوا عنه.

وكانوا قبل اتصالهم بزيد يسمون (الخشبية) [٣٥]، و(الإمامية) [٣٦] .

اعتقاداتهم :

للرافضة آراء اعتقادية كثيرة لا يتسع المقام هنا لبسطها.

وأولها: قضية الإمامة وقصر استحقاقها في آل البيت. علي وذريته رضي الله عنهم، وأنها كانت بنص من النبي ﷺ فيهم.

ثانيها: دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء.

ثالثها: تدينهم بالتقية .

رابعها: دعواهم المهدية .

خامسها: ودعواهم الرجعة .

سادسها: موقفهم من القرآن الكريم .

سابعها: موقفهم من الصحابة .

ثامنها: القول بالبداء [٣٧] على الله تعالى .

كما توجد لهم آراء أخرى، مثل دعوى النبوة في بعض من يتشيعون لهم، ومثل القول بالتناسخ والحلول، وغير ذلك . وهذه الآراء - الظاهر سقوطها وبطلانها- توجد في فرقهم القديمة والحديثة، وقد تخرج بعض فرقهم عن رأي وتلتزم بآخر لا يقل عنه سوءاً ولا ضلالاً، إلا من اعتدل منهم [٣٨] .

فرق الروافض:

لقد تفرقت الشيعة الروافض إلى أقسام كثيرة لم يتفق العلماء على عددها، ولا على اعتبار من هم الأصول، ومن هم الفروع منهم .

([٣١]) عواجي، غالب بن علي " فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها" http://www.saaid.net (المكتبة الشاملة) صـ ٢٣٢ .

([٣٢]) وأهم الأماكن التي انتشر فيها: إيران؛ إذ هو المذهب الرسمي للدولة، وقد أعلن الخميني في دستورهم أن دين الدولة يقوم على المذهب الجعفري، ثم العراق، ثم الهند، وباكستان، وقد انبثت أعداد كبيرة منهم في بقاع من سوريا ولبنان ودول الخليج، وكثير من البلدان الإسلامية لنشر هذا المذهب، مستغلين غفلة أهل السنة انظر فرق معاصرة ص ٢٣٨ ، ٢٣٩.

([٣٣]) انظر البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٣٠، فرق معاصرة صـ ٢٣٣.

([٣٤]) انظر مقالات الأشعري، تعليق محمد محيي الدين عبدالحميد .ج ١ ص ٨٩ .

([٣٥]) لأنهم كانوا يقاتلون بالخشب ولا يجيزون القتال بالسيف إلا تحت راية إمام معصوم من آل البيت .

([٣٦]) لزعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي رضي الله عنه نصاً ظاهراً ويقيناً صادقاً، ولم يكتف فيه بالوصف بل صرح بالاسم لعلي ولأولاده من بعده . انظر الفصل لابن حزم ج٤ ص ١٨٥، وانظر الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٧٦ ..

([٣٧]) والبداء تدور معانيه في اللغة حول ظهور الشيء بعد الخفاء، كما في قوله تعالى: "وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ"(الزمر ٤٧) أي ظهر.

وتجدد العلم بتجدد الأحداث، مما يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم؛ تبعاً لحدوث المستجدات؛ لقصور العقول عن إدراك المغيبات، كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ (يوسف ٣٥) قال ابن فارس: " الباء والدال والواو أصلٌ واحد، وهو ظُهور الشيء. يقال بدا الشيءُ يَبدُو، إذا ظَهَر، فهو بادٍ.... وتقول : بدا لي في هذا الأَمر بَدَاءٌ، أي تغيَّر رأْيي عما كان عليه. مقاييس اللغة (ب د و) .

وفي الاصطلاح هو: القول بحدوث حوادث جديدة متغيرة في علم الله على حسب ما يحدث، والله تعالى محال عليه حدوث الجهل بالشيء فتبدو له البداءات فيه؛ لأنه عالم الغيب والشهادة، السر وأخفى، ما ظهر وما سيظهر على حد سواء . ومن أرد المزيد فليراجع فرق معاصرة ٢٣٢/١ ، ٣٠٤. ٣١١

([٣٨]) ينظر في ذلك فرق معاصرة ص ٢٤١.

ولا حاجة إلى التطويل بذكر جميع تلك الفرق الأصول والفروع[٣٩]؛ إذ الكل يجمعهم معتقد واحد حول الإمامة وأحقية علي وأولاده من بعده بها، ورفض من عداهم .

وأشهر فرق الروافض: الشيعة الاثنا عشرية، والمحمدية التي كانت تؤمن برجعة كل الأموات قبل يوم القيامة، قال شاعرهم: إلى يوم يؤب الناس فيه إلى دنياهم قبل الحساب [٤٠]

١- الاثنا عشرية :

وهي أشهر فرق الشيعة، وأكثرها انتشاراً في العالم، والواجهة الرئيسة للتشيع في عصرنا الحاضر، والوجه البارز له، وإليها ينتمي أكثر الشيعة في إيران والعراق وباكستان وغيرها من البلدان التي وصلت إليها العقيدة الشيعية.

وهم مجموعة من الطوائف مختلفة الآراء والمسميات[٤١]، لكن يجمعها هدف عام واحد هو علو المذهب الاثني عشري الجعفري الذي زعم

---

(٣٩) إن أردت المزيد عن فرق الروافض فانظر الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور ١٥،١٦،١٧ ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ١٩٧٧ الطبعة الثانية ، فرق معاصرة صـ ٢٣٣.

(٤٠) ينظر الفرق بين الفرق ٤٤، والبيت للسيد الحميري في ديوانه ص ٤٤ (المكتبة الشاملة) ومنسوب إليه في ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم(١٤٠٦هـ) "منهاج السنة النبوية" تحقيق د محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، مؤسسة قرطبة، ٥١١/٢.

(٤١) فلهم أسماء كثيرة تطلق عليهم، بعضها من قبل مخالفيهم، وبعضها من قبلهم هم، وهذه الأسماء هي :

أ . الاثنا عشرية ؛ وذلك لاعتقادهم وقولهم بإمامة اثني عشر رجلاً من آل البيت، ثبتت إمامتهم –حسب زعمهم– بنص من النبي . صلى الله عليه وسلم . وكل واحد منهم يوصي بها لمن يليه انظر الفرق الإسلامية ص ٨٠، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ١٨١ وأولهم: علي –رضي الله عنه– و آخرهم محمد بن الحسن العسكري المزعوم الذي اختفى في حدود سنة ٢٦٠هـ، وسيعود بزعمهم ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويسير الخير بين الناس وافراً إلى آخر مزاعمهم الكثيرة . انظر فرق معاصرة ص ٢٣٦ . ، وفيه قال الشيرازي: "كما تسمى الشيعة بالاثني عشرية لأنهم يعتقدون بإمامة الأئمة الاثني عشرية ينظر: قضية الشيعة ص ٤، وهؤلاء الأئمة الاثنا عشر هم:

١. علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– ٢. الحسن بن علي ٣. الحسين بن علي ٤. علي بن الحسين.

٥. محمد بن علي بن الحسين الباقر. ٦. جعفر بن محمد بن الحسين – أبو عبد الله– الصادق– .٧. موسى بن جعفر الكاظم. ٨. علي بن موسى –الرضي– . ٩. محمد بن علي –الجواد– . ١٠. علي بن محمد الهادي.

١١. الحسن بن علي العسكري. ١٢. محمد بن الحسن العسكري الغائب الموهوم، كما يسميه الشيخ إحسان إلهي –رحمه الله تعالى –، ومن الملاحظ أن الشيعة الاثني عشرية حصروا الإمامة في أولاد الحسين بن علي دون أولاد الحسن –رضي الله عنهما–، ولعل السبب في ذلك يعود إلى تزوج الحسين بن علي بنت ملك

فارس يزدجرد، ومجيء علي بن الحسين منها، ينظر في ذلك فرق معاصرة ص ٢٣٦.

ب–الجعفرية : نسبة إلى جعفر بن محمد الصادق الذي بنوا مذهبهم في الفروع على أقواله وآرائه –كما يزعمون– وهو بريء منهم ومن أكاذيبهم؛ لأن ما يسندونه إليه من أقوالٌ واعتقادات لا يقول بها من له أدنى بصيرة في الإسلام ، فكيف به؟ وهذا الاسم من أحب الأسماء إليهم بخلاف تسميتهم بالرافضة، فإنهم يتأذون منه . انظر فرق معاصرة ص ٢٣٦،٢٣٧ .

ج – الرافضة : أو الروافض، وهو اسم غير محبوب لديهم وقد سموا به، إما لأنهم رفضوا مناصرة زيد بن علي، أو لرفضهم أئمتهم وغدرهم بهم، أو لرفضهم الصحابة وإمامة الشيخين، أو لرفضهم الدين، وذكر بعضهم أن هذه التسمية من قبل خصومهم للتشفي منهم . انظر فرق معاصرة ٢٣٧ .

د – الإمامية : إما نسبة إلى الإمام (الخليفة)؛ لأنهم أكثروا من الاهتمام بالإمامة في تعاليمهم كما هو واقع بحوثهم، أو لزعمهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي وأولاده فرق معاصرة ٢٣٧، واختار هذا التعريف الشهرستاني في الملل والنحل ٦٢/١، وهو التعريف الذي ذكره الشيرازي عنهم حيث قال: وتسمى الشيعة بالإمامية لأنهم يعتقدون بإمامة علي – أمير المؤمنين– وأولاده الأحد عشر قضية الشيعة صـ ٣ .

أو لانتظارهم إمام آخر الزمان الغائب المنتظر – كما يزعمون– انظر فرق معاصرة ٢٣٧.

هـ–الخاصة : وهذه التسمية أطلقوها على أنفسهم وأهل مذهبهم ينظر الشيعة والتشيع ص ٢٧١ وكان ذلك مثارا للقدح فيهم وعقد المقارنة وذكر أوجه التشابه بينهم وبين اليهود حينما سموا أنفسهم شعب الله المختار، وسموا من عداهم الجوييم أو الأمميين وغير ذلك ... انظر

الخميني[٤٢] أن النواة الأولى له هي الرسول ـ ﷺ ـ وعلي بن أبي طالب و خديجة ـ رضي الله عنها ـ ؛ حيث بدأ الرسول ـ حسب زعمه ـ يدعو للتشيع من نقطة الصفر[٤٣].

٢- المحمدية : طائفة يعتقدون أن الإمام والمهدي المنتظر هو مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسن بن علي، ويعرف بالنفس الزكية[٤٤].

خامسًا ـ المتصوفة :

التصوف في اللغة :

قال ابن فارس: "الصاد والواو والفاء أصلٌ واحد صحيح، وهو الصُّوف المعروف.

والباب كله يَرجِع إليه "[٤٥].

وورد في الصحاح أن الصوف للشاة ، ويقال كبش صاف، أي: كثير الصوف.

وصاف السهم عن الهدف مال وعدل، والمضارع منه يصوف ويصيف[٤٦] .

ولا ذكر عندهم لكلمة (صوفية) أو اشتقاقها، وهذا ما صرح به الفيومي من أنها كلمة مولدة[٤٧] لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في العربية .

أوجه الشبه بين اليهود والرافضة في العقيدة رسالة ما جستير للرحيلي، وانظر كتاب رسالة في الرد على الرافضة .

(٤٢) انظر فرق معاصرة ص ٢٣٥.

(٤٣) انظر ولاية الفقيه ص ١٣٦ – ١٣٧ .

(٤٤) ولد محمد سنة ٩٣هـ، ويوصف بأنه كان فاضلاً صاحب عبادة وورع، ولذا أطلق عليه لقب النفس الزكية، خرج بالمدينة المنورة سنة ١٤٥هـ على أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، فبعث إليه المنصور بعيسى بن موسى الهاشمي، فدارت المعركة على محمد فسقط قتيلاً بعد مدة قليلة من إعلان خروجه، وقد احتز عيسى رأس محمد وأرسله إلى أبي جعفر المنصور جرياً على العادة التي سنها الأمويون من قبل لإرهاب المخالفين.

وحينما قتل محمد في أول لقاء مع عيسى بن موسى انقسم أتباعه فيما بينهم، فطائفة قالت: إن محمد بن عبد الله ابن الحسن مات مقتولاً، ولم يملك ولا يملأ الأرض عدلاً، ولو كان هو المهدي لتكفل الله بظهوره.

وطائفة أخرى . لأغراض في أنفسهم ولبقاء شوكتهم . قالت: إن محمداً لم يقتل، وإنما المقتول كان شيطاناً تصور للناس في صورة محمد بن عبد الله بن الحسن، وأن محمداً لا يزال حياً في جبل حاجر بنجد، ولا بد أن يظهر مرة أخرى، ويملأ الأرض عدلاً، وأن البيعة ستعقد له بين الركن والمقام في بيت الله الحرام بمكة، انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٠– ٢٣٣ ، فرق معاصرة ٢٣٤ ، ٢٣٥ ..

(٤٥) وذكر أن قولهم:صاف عن الشَّرِّ إذا عَدَل، فهو من باب الإبدال، يقال: صَابَ إذا مال.مقاييس اللغة(ص و ف).

(٤٦) انظر: الصحاح للجوهري مطابع دار الكتاب العربي، والقاموس المحيط، ولسان العرب (ص و ف).

(٤٧) انظر الرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" المكتبة العلمية – بيروت من دون.

ولهذا اختلف الذين تحدثوا عن التصوف والصوفية من المؤيدين والمعارضين للتصوف، بل والصوفيين أنفسهم في أصل الكلمة واشتقاقها، وفي نسبة الصوفية اختلافاً كبيرا [٤٨].

والأقرب إلى الصحة قولان:

أ ـ أن الصوفية نسبة إلى الصوف وهي صحيحة لغويا[٤٩]، وحجتهم على ذلك أن الصوف لباس الأنبياء، وأن لبسه أقرب إلى التواضع والخمول والذل يقول أبو فراس الحمداني مخاطباً سيف الدولة:

يا ناعم الثوب كيف تبدله ثيابنا الصوف ما نبدلها[٥٠]

وأن نسبتهم إلى لبس الصوف تنبئ عن تقللهم من الدنيا، وزهدهم فيما تدعوا إليه النفس بالهوى من الملبوس الناعم، ويكون اللابس خشناً مثل الملبوس في خشونته، وأن لبس الصوف أمر ظاهر والحكم بالظاهر أسلم وأولى في نسبتهم إلى حال أو مقام لأنه أمر باطن، وأيضاً لأن القول بأنهم صوفية للبسهم الصوف أبعد عن الرياء وأقرب للتواضع.

وهذا الرأي سلم مما توجه إلى غيره من الآراء لصحته لغة من حيث النسبة والاشتقاق؛ إذ يقال تقمص لمن لبس القميص، وتصوف إذا لبس الصوف [٥١].

---

(٤٨) فذهب بعضهم إلى أنها نسبة إلى الصفاء وأنهم سموا صوفية لصفاء أسرارهم وشرح صدورهم وضياء قلوبهم ينظر التعرف لمذهب أهل التصوف ص٢٤ ط دار الكتب العلمية – بيروت من دون.

ورد بعدم صحة ذلك لغة لأن النسبة إلى الصفاء صفائي، الرسالة القشيرية، طبع دار الكتاب العربي – بيروت، ص١٢٧.

فضلا عن أن صفاء القلوب ونقائها ومعرفة الباطن لا يعلمه إلا الله عز وجل، وادعاء الصوفية بهذا المعنى فيه تزكية للنفس

ولهذا وصف زكي مبارك ذلك بأنه حذلقة من بعض الصوفية. مبارك، زكي " التصوف الإسلامي" طبع المكتبة العصرية – لبنان، ص٥٤.

وذهب بعضهم إلى إنها نسبة إلى أهل الصفة، وهو . أيضا غير مستقيم لغويا؛ لأن النسبة إلى أهل الصُفَّة صُفي وليس صوفي. ابن الجوزي " تلبيس إبليس" طبع دار الوعي، ص١٨٣.

وذكر بعضهم أن التصوف نسبة إلى الاتصاف بالصفات الحميدة وترك الصفات الذميمة. بسيوني، إبراهيم (١٩٦٩م) " نشأة التصوف الإسلامي" طبع دار المعارف مصر، ص١١.

ويرى عبد الله الأمين أن هذه النسبة لم تلق من الاستحسان، فضلاً عن عدم الاستقامة العلمية ولا لغويا؛ لأن النسبة إلى الصفات صفاتي ليس صوفي ما حصرها في نطاق الرأي الضعيف الذي لم ينظر إليه تاريخياً. الأمين، عبد الله (١٤٠٦هـ ١٩٨٦م) " دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة " الطبعة الأولى، دار الحقيقة – بيروت، ص٢٣٩

.

وذكر آخرون أنها نسبة الصوفية إلى "سوفيا" اليونانية ومعناها الحكمة، والقائلين بذلك حجتهم أن القوم كانوا طالبين للحكمة حريصين عليها فأطلقت عليهم الكلمة وعربت أو حرفت فأصبحت صوفية وصوفي انظر نشأة الفلسفة الصوفية عرفان عبد الحميد ص١٠٨ ط٨ المكتب الإسلامي ينقل عن نيكلسون مؤلف دائرة معارف القرن العشرين.

ولكن الصوفية أنفسهم لا يقبلون أن ينسبوا إلى اليونان لما يجعل للخصوم عليهم سبيلاً حيث ينسبونهم إلى الفكر اليوناني القديم بما فيه من ضلالات وانحرافات.

فضلا عن أن الكلمة اليونانية "سوفيا" قصد بها فلاسفة اليونان المنهج الذي قوامه البحث النظري المجرد في الوجود للوقوف على حقائقه ومهيته مما لا يتصل بالسلوك العملي إلا قليلا، أما التصوف الإسلامي فإنه ذو طابع عملي انظر أصول التصوف د عبد الله حسن زروق ص٢٢، المركز القومي للإنتاج الإعلامي إبريل ١٩٩٥م ذي القعدة ١٤١٥هـ.

وقيل نسبة إلى الصوفانة وهي نبات أي بقلة زغباء قصيرة صحراوية وذلك لاكتفائهم بالقليل من الطعام ولو من نبات الصحراء ورد بأنه غير صحيح لغة ؛ لأن النسب إليها صوفاني وليس صوفي تلبيس إبليس ١٦١ ط دار الكتب العلمية .

ولو سألت الصوفية عن هذه النسبة فلن يقر بها أحد ، هذا إذا علم معنى الصوفانة ، فإن عامتهم يجهلونها. وهناك أقوال أخرى كثيرة إن أردت المزيد عنها راجع مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي ٦ .١٠ (المكتبة الشاملة)، فرق معاصرة ٣/٣ وما بعدها .

(٤٩) ورجحه ابن تيمية رحمه الله في الفتاوي والسهروردي عوارف المعارف للسهروردي ٢١١/١ مطبعة السعادة، وابن خلدون في المقدمة، الطبعة الرابعة، ص٤٦٨.

(٥٠) ديوان أبي فراس ص٢٤٣ دار صادر بيروت.

(٥١) طه عبد السلام خضير ومحمد مصطفى " دراسات في التصوف الإسلامي" ص٦، ٧.

غير أنه لم يسلم من الرد بأن لبس الصوف ليس فضيلة، وليس في الانتساب إليه شرف، وأنه مدعاة إلى التظاهر بالتنسك والتقشف والزهد وهذا من الرياء ...[٥٢].

ب ـ أن التصوف اسم عَلَم على طائفة الصوفية بغض النظر عن اشتقاق الكلمة والأصل الذي أخذت عنه [٥٣].

التصوف اصطلاحا هو: العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة [٥٤].

وعرفه بعضهم بأنه: تجريد العمل لله تعالى، والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهرة، والميل إلى التواضع والخمول، وإماتة الشهوات في النفس [٥٥].

سادسًا ـ الدلالة:

وهي علم دراسة المعنى، فالمقصود بها دلالة الألفاظ على المعاني، أي: أن يكون اللَّفظِ متَى أُطْلِقَ فُهِم منه معناه؛ للعِلْم بوَضْعِه.

فإذا سمعت طرقة بابك ينتقل ذهنك ـ لا شك ـ إلى أن شخصًا على الباب يدعوك. وليس ذلك إلا لأن هذه الطرقة كشفت أو(دلت) على وجود شخص يدعوك.

يقول الشريف الجرجاني(ت:٨١٦هـ): "الدلالة هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في: عبارة النص، وإشارة النص، واقتضاء النص [٥٦].

فالدلالة ـ بناء على هذا ـ تلازم بين شيئين؛ حيث تعلم حالة الشيء(المدلول) من حالة آخر(الدال). فهي ـ إذًن ـ لا تخرج عن تضافر الدال والمدلول بحيث يصبح للكلمات والعلامات اللغوية معان ودلالات يصطلح على مدلوله، وينحصر مجالها في دراسة معنى الكلمة، التي هي من اختصاص اللغوي أكثر من غيره.

والدلالة أنواع: صوتية، وصرفية، ونحوية، ومعجمية .

١ـ الدلالة الصوتية: هي: الإيحاء الصوتي النابع من ذات الكلمة أو تركيبها، والمصاحب للجملة في أدائها الدال على جانب من المعنى، أو المؤثر فيه [٥٧].

٢ـ الدلالة الصرفية وهي التي تُستمد عن طريق صيغ الألفاظ وأبنيتها، فهي تقوم على ما تؤديه الأوزان الصرفية، وأبنيتها من معان[٥٨]. فمثلًا صيغة فعول، نحو: كذوب وحدة صرفية جاءت على هذا الوزن الذي يفيد وظيفة صرفية قادرة على التفريق في الدلالة بين (فعول) كذوب، و(فاعل) كاذب؛ حيث تفيد كذوب المبالغة في المعنى [٥٩]، فاستعمال كلمة " كذوب يمُد السامع بقدر من الدلالة لم يكن ليصل إليه أو يتصوره لو أن المتكلم استعمل كاذب" [٦٠].

٣ـ الدلالة النحوية (الدلالة التركيبية)، وهي الدلالة التي تحصل من العلاقات النحوية بين الكلمات بحسب قوانين اللغة[٦١]، حيث يحتِم نظام الجملة العربية أو هندستها ترتيبًا خاصًا لو اختل أصبح من العسير أن يفهم المراد منها[٦٢].

---

(٥٢) انظر مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي ١١، فرق معاصرة ٣/٣ وما بعدها.

(٥٣) انظرالرسالة القشيرية ص١٨٣.

(٥٤) ابن خلدون(١٩٨٤م ١٤١٩هـ) مقدمة ابن خلدون، الطبعة الخامسة، دار القلم، ص٤٦٧ .

(٥٥) فرق معاصرة ٣ /٤ .

(٥٦) . التعريفات: ٢١٥.

(٥٧) وهي إما: *أ ـ طبيعية*، مثل الذي تؤديه الأصوات الصادرة عن مظاهر الطبيعة المختلفة، من أدوار في تحديد المعنى، كأصوات الإنسان، والحيوا ، والرعد، فهي ذات علاقة بنظرية المحاكاة في نشأة اللغة، أو ما يعرف بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول. انظر مجاهد، عبدالكريم " الدلالة اللغوية عند العرب"ص ١٦٥.

ب . أو تحليلية وهي تلك الدلالة التي تستنبط من دلالة الفونيمات التركيبية، كالحروف والحركات (الصوامت والصوائت)؛ حيث يطلق العلماء على الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة الصوت المقطعي الأولي أو الصوت التركيبي،" ويشمل الصوت التركيبي ما يسمى بالسواكن والعلل، وهي تُعد جزئيات صوتية تستخدم في تركيب الحدث الكلامي " عمر، أحمد مختار " الأصوات اللغوية" صـ ٢١٩.

أو تستنبط من دلالة الفونيمات غير التركيبية، مثل: النبر، والتنغيم. وغيرهما من الأداءات الصوتية المختلفة . انظر هادف، بوزيد ساسي " الدلالة الصوتية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص"، صـ ٥ .

(٥٨) مجاهد، عبدالكريم " الدلالة اللغوية عند العرب"صـ ١٨٣.

(٥٩) . ينظر حماد، محمد أحمد(١٩٩٨م) " مدخل إلى التفكير الدلالي" دار الثقافة العربية، صـ ٢٣.

(٦٠) . دلالة الألفاظ: ٤٧.

(٦١) مجاهد، عبدالكريم " الدلالة اللغوية عند العرب" صـ ١٩٤ .

(٦٢) . دلالة الألفاظ: ٤٨.

فالجملة ليست محض رصف للألفاظ على الصورة المعهودة؛ كأن يؤتى بالجملة الاسمية مبدوءًا فيها بالمبتدأ، يليه الخبر، أو يؤتى في الفعلية بالفعل يتلوه فاعله ، ثم تكمّل بما يُسمى الفضلة [٦٣]، بل نظمُ الكلمِ ليسَ الأَمرُ فيه كذَلك ، لأنك تَقْتفي في نظمِها آثارَ المعاني، وتُرتّبُها على حسبِ ترتيبِ المعاني في النَّفس [٦٤] .

٤ ـ الدلالة اللفظية (المعجمية أو الاجتماعية) وهي التي يكون المعنى فيها مستمدًا من النصّ المنطوق به،" فكل كلمة من كلمات اللغة العربية لها دلالة معجمية اجتماعية تستقل عما يمكن أن توحيه أصوات هذه الكلمات، أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الأساسية التي يطلق عليها الدلالة الاجتماعية" [٦٥] .

فالدلالة اللفظية هي كون اللفظ بحالة ينشأ من العلم بصدوره من المتكلم العلم بالمعنى المقصود به، ولا تنعقد الدلالة اللفظية العرفية إلا بتوفر ثلاثة أركان: " اللفظ، وهو نوع من الكيفيات المسموعة، والمعنى الذي جعل اللفظ بإزائه، وإضافة عارضة بينهما هي الوضع؛ أي جعل اللفظ بإزاء المعنى، على أن المخترع قال: إذا أطلق هذا اللفظ فافهموا هذا المعنى" [٦٦] أما الدلالة الوضعية فهي: "الدلالة العرفية أو الاصطلاحية حيث يتواضع الناس في اصطلاحهم على دلالة ما للفظ معين، وبعد ذلك يقتضي لإدراكها العلم المسبق بطبيعة الارتباط بين الدال ومدلوله .

فلكل كلمة معنى معجميٌّ، يمثل المعنى الأساس لها، ومعان إضافية كثيرة قابلة للتغيير من زمن لآخر، ومن مجتمع لآخر، هذه المعاني تُبدي بعض الخصائص العضوية والاجتماعية، وتظهر بعض الصفات التي ترتبط في أذهان الناس بالكلمة؛ فمثلًا (يهودي) تملك معنى أساسيًّا وهو الشخص الذي ينتمي إلى الديانة اليهودية، ولكنها بعد ذلك انتقلت إليها معان دلالية أُخْرى انطبعت في أذهان الناس، تتمثل في الطمع، والبخل، والمكر والخديعة [٦٧] .

فالمعنى المعجمي هو عبارة عن: معاني الكلمات، وأكثر أنواعها شيوعًا يمكن أنْ يقال: إنه إشاري أو مرجعي، ومثاله تسمية الأشياء، ويغلب أن تدل عليه الكلمة حال انفرادها [٦٨] .

سابعًا: السياق

وهو في اللغة تتابع الشيء على نسق واحد حسا أو معنى، فهو يدور حول التتابع والتسلسل والجمع والاتصال.

وفي الاصطلاح: بناء نصي كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة .

فهو مجموعة من الكلمات والجمل وثيقة الترابط، ومن ثم فهو جوهر المعنى المقصود في أي بناء نصي أو كلامي؛ لأنه لا يلقي ضوءًا على معاني الكلمات المفردة فحسب، بل على معنى الفقرة وغايتها بالكامل، بل على النص كله، من خلال علاقة المفردات بعضها ببعض في أي سياق من السياقات المختلفة .

فمعنى الكلمة عند أصحاب نظرية السياق هو" استعمالها في اللغة "، أو" الطريقة التي تستعمل بها " أو" الدور الذي تؤديه ".

وللسياق معنيان :

الأول: السياق بالمعنى المحدود، وهو سابق الكلام الذي يراد تفسيره ولاحقه، فالأول يسمى قرينة السباق، والثاني قرينة اللحاق، والكل هو دليل أو دلالة السياق [٦٩]، وقد يسمى عند بعض العلماء بسياق النظم [٧٠] .

ومراعاة دليل السياق من أسس التفسير السليم للنصوص الشرعية؛ قال الشاطبي: " فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه، فلا يتوصل به إلى مراده، ولا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض "[٧١] .

ومثال اعتبار السياق بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿...فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ...﴾الكهف ٢٩، فالمراد الزجر والتوبيخ ، وليس حقيقة الأمر والتخيير [٧٢]، يدل عليه بقية كلامه

---

(٦٣) . يراجع: نحو المعاني: ٢٥.

(٦٤) الجرجاني، عبدالقاهر " دلائل الإعجاز" تحقيق الشيخ شاكر ط المدني جدة، صـ ٤٩.

(٦٥) . دلالة الألفاظ: ٤٨. ٥١.

(٦٦) الفاخوري، عادل " علم الدلالة عند العرب" صـ ١٦.

(٦٧) عمر، أحمد مختار "علم الدلالة" صـ ٣٦، وما بعدها.

(٦٨) حماد، محمد أحمد (١٩٩٨م) " مدخل إلى التفكير الدلالي" دار الثقافة العربية، صـ ٢٦.

(٦٩) ينظر: مقدمة حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: ٨٩/١.

(٧٠) ينظر: أصول السرخسي:١٩٣/١(الشاملة) . كشف الأسرار: ١ / ٢٤٦، ١٢٤/٣ موقع الإسلام

.http://www.al-islam.com

(٧١) الشاطبي، الموافقات ٤١٣/٣.

(٧٢) ينظر: أصول السرخسي١٩٣/١، كشف الأسرار١٤١/٣، شرح التلويح عل التوضيح موقع الإسلامhttp://www.al-islam.com.

٣٤٢،٣٤٦/١.

جل وعلا : ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ ﴾ (٧٣).

فهذا السياق بالمعنى المحدود، هو السياق الداخلي الذي يعنى بالنظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم، آخذًا بعين الاعتبار ما قبلها وما بعدها في الجملة، وقد تتسع دائرته إذا دعت الحاجة، فيشمل الجمل السابقة واللاحقة، بل والنص كله، والكتاب كله .

وتتجلى أهمية السياق الداخلي في تعيين الدلالة المرادة من اللفظ وطرح ما عداها؛ لأن اللفظ خارج السياق له دلالته المعجمية، أما عند توظيفه داخل نظم من الكلام فإن له دلالة أخرى، فدلالة "العين"مثلا في عبارة "أرسلت العيون" غيرها في: "بعته بكذا عينا "، وغيرهما في: " صنعته على عيني "، والذي يضبط هذه الدلالات للكلمة الواحدة السياق الذي وردت فيه، فدلالة اللفظ في كل موضع بحسب سياقه، بل إنه يتفاوت في دلالته وأدائه الجمالي تبعا لتغاير السياقات التي استخدم فيها، فالكلمة الواحدة إذا استعملت في معنى تكون أفصح منها إذا استعملت في غيره (٧٤).

ولقد كان للمفسرين فضل السبق في الكشف عن أثر السياق وأهميته في تحديد معاني الآيات، خاصة عند الافتقار إلى قرائن أخرى معتبرة في فهم المراد، من حديث صحيح، أو إجماع صريح، أو غير ذلك من قرائن السياق الخارجي للنص الشرعي، وكتب التفسير خير مجال استحضر فيه السياق دليلًا على تحديد معاني كلمات القرآن وآياته، بل كان له دور حاسم في الفصل بين كثير من الأقوال المحتملة في التفسير (٧٥).

الثاني: السياق بالمعنى الواسع، ويراد به جميع القرائن التي تُسهم في فهم النص، وهذا النوع برع في بيانه وضبطه علماء الأصول؛ إذ أن كتبهم لا تكاد تخلو من فصل يبسط فيه القول في تبيين هذه القرائن كسبيل للاستدلال بالخطاب الشرعي على الأحكام.

المبحث الأول: ما وصفه الزمخشري بأنه من البدع التي رويت عن الرافضة.

أشار " الزمخشري" إلى ذلك في موضع واحد، هو قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴾ (٧٦)، حيث قال: "ومن البدع ما رُوي عن بعض الرافضةِ أنه قرأ " فانصِبْ " بكسر الصاد، أى: فانصب عليا للإمامة، ولو صَحَّ هذا للرافِضِيّ لصَحَّ للناصِبيّ أن يَقْرأ هكذا، ويجعله أمرا بالنصب الذي هو بُغْضُ عليّ ـ رضي الله عنه ـ وعداوتُه"(٧٧).

ذكر"الزمخشري" أن قراءة ﴿ فانصِبْ﴾ بكسر الصاد معناها: أنصب عليًا للإمامة ، ووصفها بأنها من البدع التي رويت عن بعض الرافضة .

وبالرجوع إلى بعض كتب التفسير والقراءات يظهر أن ﴿ فانصِب﴾ قراءة منسوبة لزيد بن علىّ الذي قرأ:﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فانصِبْ ﴾بكسر الصّاد على معنى: إذا فرغت من أمر النبوة «فانصِب» خليفة، وَأَخَذَهَا الشِّيعَةُ عَلَى الْفَرَاغِ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَنَصْبِ عَلِيٍّ إِمَامًا(٧٨). ويظهر ـ أيضا ـ أنها مردودة عند جمهور المفسرين؛ إذ قال عنها ابن عطية ـ رحمه الله ـ : "وهي قراءة شاذة، ضعيفة المعنى، لم تثبت عن عالم " (٧٩).

---

(٧٣) سورة الكهف: ٢٩.

(٧٤) ينظر في ذلك دلائل الإعجاز ٤٤ . ٤٨ .

(٧٥) للطبري،(١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م) " جامع البيان" تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١١١/١٦، الكشاف: ١٤١/٤، ابن كثير(١٤١٩هـ) " تفسير القرآن العظيم" تحقيق محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ٣٩١/٤، الأندلسي، أبو حيان(١٤٢٠هـ) " البحر المحيط " تحقيق صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر– بيروت،٢٢/٧، القرطبي" الجامع لأحكام القرآن " موقع يعسوب (الشاملة) ١٩٥/٩، الجزائري (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) " أيسر التفاسير" الطبعة الخامسة، موقع مكتبة المدينة الرقمية http://www.raqamiya.org ، ٢١٢/٢ .

(٧٦) سورة الشرح: ٧.

(٧٧) الكشاف: ٧٧٧/٤، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠٩/٢٠، البحر المحيط: ٥٠١/١٠.

(٧٨) ينظر الآلوسي (١٤١٥ هـ) " روح المعاني " تحقيق علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت،١٧٠/٣٠، الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي(١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م) " اللباب في علوم الكتاب " تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت ـ لبنان، ٢٠ / ٤٠٣، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) " أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن" طبع دار الفكر، ٨ /٥٨٠ .

(٧٩) ابن عطية (١٤٢٢هـ) " المحرر الوجيز" تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية . بيروت، ٤٩٨/٥.

ووصفها القرطبي بالبطلان في قوله نقلا عن ابن العربي: "... وهذا باطل في القراءة، باطل في المعنى؛ لأن النبي - ﷺ - لم يستخلف أحدا"[٨٠].

ووصفها السمين بأنها تحريف تروى عن بعض الإمامية[٨١].

وَقَالَ:" لَيْسَ الْأَمْرُ مُتَعَيِّنًا بِعَلِيٍّ، فَالسُّنِّيُّ يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ: فَانْصَبْ أَبَا بَكْرٍ، فَإِنِ احْتَجَّ الشِّيعِيُّ بِمَا كَانَ فِي غَدِيرِ خُمٍّ، احْتَجَّ السُّنِّيُّ ؛ بِأَنَّ وَقْتَهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ الْفَرَاغِ مِنَ النُّبُوَّةِ.

بَلَ إِنَّ قَوْلَهُ(ﷺ): "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ"[٨٢]كَانَ بَعْدَهُ، وَفِي قُرْبِ فَرَاغِهِ(ﷺ)مِنَ النُّبُوَّةِ، إِذْ كَانَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ.

فَإِنِ احْتَجَّ الشِّيعِيُّ بِالْفَرَاغِ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، رَدَّهُ السُّنِّيُّ بِأَنَّ الْآيَةَ قَبْلَ ذَلِكَ..

وَعَلَى كُلٍّ إِذَا كَانَ الشِّيعَةُ يَحْتَجُّونَ بِهَا، فَيَكْفِي لِرَدِّ احْتِجَاجِهِمْ أَنَّهَا شَاذَّةٌ، وَتَتَبُّعُ الشَّوَاذِّ قَرِيبٌ مِنَ التَّأْوِيلِ الْمُسَمَّى بِاللَّعِبِ عِنْدَ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ، وَهُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ، لَا لِقَرِينَةٍ صَارِفَةٍ وَلَا عَلَاقَةٍ رَابِطَةٍ.

وَمِنَ اللَّعِبِ فِي التَّأْوِيلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْعَوَامِّ: رَأَيْتُ رَجُلًا عَامِّيًّا عَادِيًّا، قَدْ لَبِسَ حُلَّةً كَامِلَةً مِنْ عِمَامَةٍ ، وَثَوْبٍ صَقِيلٍ، وَحِزَامٍ جَمِيلٍ مِمَّا يُسَمُّونَهُ نَصْبَةً، أَيْ: بَدْلَةً كَامِلَةً ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا هَذِهِ النَّصْبَةُ يَا فُلَانُ ؟ فَقَالَ لَهُ: لَمَّا فَرَغْتُ مِنْ عَمَلِي نَصَبْتُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ .

كما سمعت آخر يتوجع لقلة ما في يده، ويقول لزميله: ألا تعرف لي شخصا أنصب عليه، أي: آخذ قرضة منه، فقلت له: ولم تنصب عليه؟ والنصب كذب وحرام، فقال: إذا لم يكن عند الإنسان شيء ويده خالية فلا بأس؛ لأن الله قال:﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴾.

وهذا وأمثاله مما يتجرأ عليه العامة؛ لجهلهم، أو أصحاب الأهواء؛ لنحلهم[٨٣].

تفسير اللفظة أ ـ عند أهل اللغة:

المتأمل في المادة يلحظ أنها تدور ـ عند أهل اللغة ـ حول معاني (إقامة الشيء، ورفعه، والجد في استوائه، بلوغه الغاية).

قال ابن فارس : (النون والصاد والباء) أصلٌ صحيح يدلُّ على إقامةِ شيءٍ ، وإهدافٍ في استواء.

يقال: نَصَبتُ الرُّمحَ وغيرَه أنصِبهُ نصباً .

وتيسٌ أنْصَبُ، وعنزٌ نصباءُ، إذا انتصب قرناها، وناقةٌ نَصْباء: مرتفعة الصَّدر.

والنَّصْب: حجرٌ كانَ يُنصَب فيُعبَد، ويقال: هو النُّصُب، وهو حجرٌ يُنصَب بين يدي الصَّنَم، تصبُّ عليه دماءُ الذّبائح للأصنام .

والنَّصائب: حجارةٌ تنصَبُ حوالَيْ شَفِير البئر فتجعلُ عضائد .

وغبارٌ منتصب: مرتفع .

والنَّصيب: الحوض يُنصَب من الحجارة[٨٤] .

ويستعمل ـ أيضا ـ من النصب وهو العناء والتعب الدؤوب في العمل، وهو من نصِب ينصَب من باب: علم يعلم[٨٥] .

ومنه: فانصب وشمر عن ساعدك، وانصب قامتك للدعوة، واتعب في تحقيق ما تصبو إليه، واسكن إلى ربك الذي إليه المنتهى والمستقرّ والقرار كلّ القرار[٨٦] .

والنصب ملحوظ فيه معنى الجهد والتعب، والقيام أو الشخوص.

---

(٨٠) الجامع لأحكام القرآن ٢٠ /١٠٩.

(٨١)الحلبي، السمين " الدر المصون في علم الكتاب المكنون " (الشاملة)٥٨٥٩/١، البروسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي " روح البيان " دار إحياء التراث العربى بدون، ١٠ /٤٦٤ .

(٨٢) البخاري "المسند الصحيح المختصر" باب حد المريض أن يشهد الجماعة ٧٥/٣، برقم ٦٦٤، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة٨٩/٣، برقم ٦٧٨، النسائي "السنن الكبرى" ٢٩٣/١ برقم ٩٠٧، ابن سعد "الطبقات الكبرى" باب ذكر أمر رسول الله . صلى الله عليه وسلم . أبا بكر أن يصلي بالناس، ٢١٩/٢.

(٨٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٥٨٠/٨.

(٨٤) ابن فارس" مقاييس اللغة " (ن ص ب)، وينظر الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد " كتاب العين" تحقيق د مهدي المخزومي، ود إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (باب النون والصاد والباء)، الجوهري (١٩٩٠م) " الصحاح " الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين– بيروت، والفيروزآبادي " القاموس المحيط " ، الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض " تاج العروس من جواهر القاموس" تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية من دون، وأبو جيب، سعدي (١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م) " القاموس الفقهي لغة واصطلاحا " (المادة نفسها) الطبعة الثانية، دار الفكر. دمشق – سورية.

(٨٥) القاموس المحيط (ن ص ب).

(٨٦) ينظر: سعد، محمود توفيق محمد (١٤٢٤هـ) " العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة " الطبعة الثانية مكتبة وهبة . القاهرة ، صـ ٢٠٥.

وكلا المعنيين ـ التعب والشخوص ـ أصيل في المادة، يقال: هم ناصب، أي: مرهق مجهد، والحرب مناصَبة، أي مجاهدة وعداء، ونَصَبَ العلم: أقامه شاخصًا، ونَصَب حول الحوض نصائب، وهي حجارة تكون عضدًا له، والأنصاب: الحجارة الشاخصة كانوا ينصبونها أمام الأصنام، ويصبون عليها دماء الذبائح، وأحدها نُصْبٌ ونُصُب، ونصبته للأمر: حملته عبئه، ومنه المنصب يحتمل المرء عبئه... [٨٧].

وعلى ذلك فالمقصود بهاتين الآيتين حثه ـ ﷺ ـ وحث أتباعه في شخصه على استدامة العمل الصالح، وعدم الانقطاع عنه، بل والاجتهاد فيه ـ على كثرة أبوابه ـ مع إخلاص النية لله ـ تعالى ـ فإن دوام الأعمال الصالحة، والاستزادة منها، مع الإخلاص فيها ، سبب النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة .

ومعنى هذا أن المسلم ينبغي أن يحيا حياة الطاعة والجدّ فيها مع الإخلاص، ولا يضيّع وقته في اللهو واللعب، أوالعصيان والكسل قط[٨٨].

ب ـ عند المفسرين:

المتأمل فيما قاله المفسرون يلحظ اختلافهم في تفسيرها وضبطها، حيث ذكر بعضهم أن"فانصِبْ" بكسر الصاد لغةٌ في فتحها، وأن معنى كَسْر الصّاد وفَتْحها واحدٌ، وقيل: إن معناها: فأتعب نَفْسَك في العبادة أو في الدعاء،[٨٩]، أي: إذا فرغت من العبادة فانصب في الدعاء، وارغب فيما عند الله، واطلبه منه، واجعل نِيَّتك وَرَغْبَتك إلَى رَبّك [٩٠].

وقوله: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ أي: ارغب بعد كل عمل تقوم به في مثوبة ربك وعطائه وما عنده من الفضل والخير؛ إذ هو الذي تعمل له، وتنصب من أجله، فلا ترغب في غيره، ولا تطلب سواه [٩١].

متعلّق (انصب):

لم تحدد الآية متعلق﴿انصب﴾(فيم يكون؟)؛ جريًا على مألوف البيان القرآني في السكوت عن التحديد في مقام الإطلاق، اعتمادا دلالة السياق واكتفاء بها، غير أن المفسرين حاولوا تحديده، فذكروا فيه أقوالا، أهمها:

ـ إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء، وقضاء حاجاتك، واسأل الله، وارغب إليه، وعزي لابن عباس، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، والكلبي .

ـ إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل، وهو قول ابن مسعود.

ـ فإذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عمل آخرتك، أي: فصَلِّ، وإذا جلست فاجتهد في الدعاء والمسألة، ونسب لمجاهد.

ـ إذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك، وبه قال الشعبي والزهري.

ـ إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك.

ـ إذا صح بدنك فاجعل صحتك نصبًا في العبادة والتسبيح والاستغفار؛ شكرًا لله على ما أنعم، ذكره ابن أبي طلحة[٩٢].

وذكر "ابن خالويه" أن معناه: فارجع إلى المدينة جعفر بن مُحَمَّد ـ رضي الله عنه ـ [٩٣]".

والمعاني التي ذكرها المفسرون ـ باستثناء ما ذكره ابن خالويه ـ متقاربة تدور حول أنواع العبادات المختلفة التي يمكن أن تجتمع كلها في الآية حتى يشملها الترغيب والحث، ليكون المعنى: إذا فرغت من شغلك بما يجب أن تشتغل به ـ من أمور الدعوة، وأمور الدنيا والآخرة، وما يجوز لك، فانصب، أي: فانتصب لله ـ عز وجل ـ واشتغل بعبادته(ذكره، ودعائه، والصلاة له، ... وغيرها)، ولا تشتغل باللهو وما يؤثم [٩٤].

---

(٨٧) ابن فارس، المقاييس (ن ص ب) ، القاموس المحيط ، لسان العرب المادة نفسها.

(٨٨) أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر(١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م) " أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير" الطبعة الخامسة، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة المملكة العربية السعودية، صـ ٥ /٥٨٩ ، بتصرف.

(٨٩) يراجع: الفراء" معاني القرآن " (الشاملة) ٢٢١/٣ ، جامع البيان٦٨٩/٢٣، بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ١٤٧٧/١ (الشاملة)، لسان العرب١/ ٧٥٨، تاج العروس ٢٨٢/٤(ن ص ب).

(٩٠) يراجع: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء(ت ٥١٦هـ) (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) " شرح السنة " تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، ٢٦١/٣ ، ٢٦٢.

(٩١) الجزائري " أيسر التفاسير" ٥ / ٥٨٩ .

(٩٢) يراجع في هذه الأقوال : القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكربن فرج " تفسير القرطبي" (موقع يعسوب الإلكتروني) ١٠٨،١٠٩/٢٠، الكشاف ٧٧٧/٤، الرازي "تفسيره" ٤٧٨٢/١.

(٩٣) ينظر: ابن خالويه" مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع " مكتبة المتنبي، القاهرة، صـ ١٧٦.

(٩٤) ينظر: المرادي، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل(١٤٠٨هـ) " الناسخ والمنسوخ " تحقيق د محمد عبد السلام محمد

فإن الله ـ تعالى ـ أمر نبيه أن يجعل فراغه من كل ما كان مشتغلًا به من أمر دنياه وآخرته في النصب إلى عبادته، ولم يخصص بذلك حالًا من أحوال فراغه دون حال، ولا حالا من أحوال نصبه دون حال، فسواء كل أحوال فراغه من صلاة، أو جهاد، أو أمر دنيا كان به مشتغلًا، وكل أحوال نصبه وعمله واجتهاده من دعاء، وقضاء حاجات، وقيام ليل، وتسبيح واستغفار، وتدبير أمور الأمة، وغيرها؛ لعموم الشرط في ذلك، من غير خصوص حال فراغ من دون حال أخرى، أو حال عمل اجتهد فيه ووصله به من دون أخرى، فحذفُ المتعلق هنا فيهما(فارغب، وفانصب)لإرادة العموم، وهو عموم عرفي لنوع من الأعمال التي دل عليها السياق؛ ليشمل كل متعلق عَمِلَهُ مما هو مهم، أو يَعْمَلُه، وهو أعلم بتقديم بعض الأعمال على بعض إذا لم يمكن اجتماع كثير منها بقدر الإمكان، كما أقر الله بأداء الصلاة مع الشغل بالجهاد بقوله:﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ..﴾ إلى قوله: ﴿ ...إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [٩٥].

وهذا الحكم ينسحب على كل عمل ممكن من أعماله الخاصة به ـ أيضا ـ، مثل: الذكر، وقيام الليل، وتدبير أمور الأمة،... وغيرها .

أي: إذا أتممت عملاً من مهام الأعمال فأقبل على عمل آخر، وصله به، وهكذا دواليك، بحيث تعمر أوقاتك كلها بالأعمال العظيمة، ولا تخلي وقتا من أوقاتك منها.

وهذا ما اختاره الزمخشري لما ذكر أن المراد من الأمر أن يجتهد في العبادات، وأن يواصل بين بعضها وبعض، ويتابع ويحرص على أن لا يخلى وقتاً من أوقاته منها، فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى [٩٦].

وهذا ما يؤيده ويؤكده قوله ـ ﷺ ـ عندما رجع من إحدى غزواته: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"[٩٧]، وهذا ـ فيما أرى ـ هو المقصود بالأمر(فانصب).

وهو ما يقتضيه السياق العام للسورة؛ إذ إن مساقها العام في تذكيره ـ ﷺ ـ بالنعم العظيمة المتصلة في أول السورة وخواتيم سابقتها، بل من أولها إلى آخرها[٩٨] فضلا عن تيسير مصاعب الدعوة وما يحف بها؛ لأجل أن يراعي هذه المنة حينما يُقابَل بالأذى من قوم يريد صلاحَهم، وإنقاذَهم من النار، ورفعَ شأنهم بين الأمم؛ ليدوم على دعوته العظيمة نَشيطاً غير ذي أسف ولا كَمَدٍ ... .

كما يقتضيه السياق الخاص للآية وصلتها بما قلبها، وهو ما أفصح عنه الشيخ بأفصح عبارة وأتم بيان لمّا قال:" فإن قلت: فكيف تعلق قوله: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾ بما قبله ؟ قلت: لما عدد عليه نعمه السالفة، ووعوده الآنفة، بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها، وأن يواصل بين بعضها وبعض، ويتابع ويحرص على أن لا يخلى وقتاً من أوقاته منها، فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى [٩٩].

أما قوله: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ ﴾ فتمهيد وإفادة لإيلاءِ العمل بعملٍ آخر في تقرير الدين ونفع الأمة، وهذا من صيغ الدلالة على تعاقب الأعمال[١٠٠]، وبذلك تكون الآية الكريمة من جوامع الكلم القرآنية وشواهد الإيجاز؛ لما احتوت عليه من كثرة المعاني ـ والله أعلم ـ .

أما ما ذكره "ابن خالويه" من أن معناه: فأرجع إلى المدينة جعفر بن مُحَمَّد رضي الله عنه[١٠١]" فهو بعيد غريب، لا دليل عليه، لا من المعنى، ولا من السياق.

النحاس الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح – الكويت، ٧٧٣،٧٧٢/١ ، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد(١٤٠٤هـ) " زاد المسير" الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٦٧/٩، السيوطي (١٩٩٣م) " الدر المنثور" دار الفكر – بيروت،٨/ ٥٥١، ٥٥٢ .

(٩٥) النساء ١٠٣،١٠٢.

(٩٦) ينظر الكشاف ٤ /٧٧٧،الرازي "تفسيره" ١/ ٤٧٨٢ .

(٩٧) السيوطي " الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهر" (موقع الوراق الإلكتروني) ١ /١١ ، المناوي، عبد الرؤوف (١٣٥٦هـ) " فيض القدير شرح الجامع الصغير" الطبعة الأولى الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ٣ /١٠٩، المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (المتوفى: ١٠٣١هـ) " الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي " تحقيق أحمد مجتبى الناشر: دار العاصمة – الرياض، ٢ /٥١٣، العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي " كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس "الناشر دار إحياء التراث العربي، وهو حديث ضعيف، ١ /٤٢٥.

(٩٨) راجع إن شئت سورة الضحى كاملة.

(٩٩) الكشاف ٤ /٧٧٧.

(١٠٠) التحرير والتنوير ١٦/ ٣٨٩.

(١٠١) ينظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع: ١٧٦.

موقف العلماء مما صرّح به الزمخشري:

ما صرح الزمخشري بأنه من بدع الرافضة وافقه عليه جمهور المحققين؛ حيث إنهم استبعدوا هذا الوجه، قال القرطبي: "وَمِنْ الْمُبْتَدِعَةِ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ " فَأَنْصِبْ" بِكَسْرِ الصَّادِ وَالْهَمْزِ فِي أَوَّلِهِ، وَقَالُوا: مَعْنَاهُ انْصِبْ الْإِمَامَ الَّذِي يُسْتَخْلَفُ، وَهَذَا بَاطِلٌ فِي الْقِرَاءَةِ، بَاطِلٌ فِي الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) لَمْ يَسْتَخْلِفْ أَحَدًا"[١٠٢].

وقال ابن عطية: إن هذه القراءة شاذة ضعيفة المعنى ، لم تثبت عن عالم " [١٠٣].

وقال الآلوسي: "وفيه نظر، ومن الناس من قدر المفعول خليفة، والأمر فيه هين" [١٠٤].

فالآية تعقيب على قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾، وتفريع على ما تقرر من التذكير باللطف والعناية، والوعد بتيسير ما هو عسير عليه في طاعته، التي أعظمها تبليغ الرسالة دون ملل ولا ضجر[١٠٥]، أي: إنه إذا كان من شأن العسر أن يصحبه يسر، ومن شأن التصب والتعب أن تعقبها الراحة والرضا، فجدير بك أيها النبي ـ كما هو جدير بكل إنسان ـ أنك إذا فرغت من أي موقع من مواقع الكفاح والجهاد، ألّا تركن إلى الراحة، بل أن تفتح بابا جديدا من أبواب الطاعة، وموقعا جديدا من مواقع الكفاح والجهاد والعمل، فإنه بقدر ما يمتد بك هذا الطريق الشاق العسر بقدر ما تحصل من خير، وبقدر ما تبلغ من علو شأن ورفعة قدر... وفى هذا حث له عليه الصلاة والسلام على المواظبة على العمل واستدامته [١٠٦].

المبحث الثاني: ما وصفه "الزمخشري" بأنه من بدع تأويلات الرافضة.

أشار "الزمخشري" لذلك في موضع واحد هو قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [١٠٧]، حيث قال: " ومن بدع تأويلات الرافضة: أن المراد بالنحل علي وقومه، وعن بعضهم أنه قال عند المهدي: إنما النحل بنو هاشم، يخرج من بطونهم العلم، فقال له رجل: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم، فضحك المهدي، وحَدَّثَ به المنصور، فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم " [١٠٨].

ذكر "الزمخشري" أن القول بأن المراد بـ "النَّحْلِ" علي وقومه، أو بنو هاشم، من بدع تأويلات الرافضة.

تفسير اللفظة:

بالرجوع إلى بعض كتب التفسير واللغة نجد أنه قد ورد في تفسير لفظة " النحل" وجوه، هي:

ـ حشرة من رتبة غشائيات الأجنحة من الفصيلة النحلية، وإليها تنسب فصيلة النحليات، تربى للحصول على عسلها وشمعه [١٠٩].

ـ زنابير العسل [١١٠].

---

(١٠٢) الجامع لأحكام القرآن :٢٠ /١٠٩.

(١٠٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٨ .

(١٠٤) روح المعاني ١٧٠/٣٠.

(١٠٥) التحرير والتنوير ٣٠ /٣٦٧.

(١٠٦) الخطيب، عبد الكريم يونس " التفسير القرآني للقرآن دار الفكر العربي . القاهرة، ١٦١١/١٦، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م) " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " تح/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ٩٢٩.

(١٠٧) سورة النحل: ٦٨ ، ٦٩.

(١٠٨) الكشاف: ٢٧٨/٢. روح المعاني: ١٨٧/١٤.

(١٠٩) المعجم الوسيط: ٢/ ٩٠٧(ن ح ل).

(١١٠) تذكرة الأريب في تفسير الغريب ٢٩٣/١ (المكتبة الشاملة) ، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود[المتوفى ٥١٦ هـ] (١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م) " معالم التنزيل " حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة دار طيبة للنشر والتوزيع، ٥ /٢٩ ، الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م) " تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل " دار الفكر بيروت . لبنان، ١٠١/٤ ، النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (١٤٢٢هـ ٢٠٠٢ م) " الكشف والبيان " تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور،

ـ ذباب له جِرم بقدرِ ضعفي جِرم الذّباب المتعارف، وأربعة أجنحة، ولون بطنه أسمر إلى الحمرة، وفي خرطومه شوكة دقيقة، كالشوكة التي في ثمرة التين البربري(المسمى بالهندي)مختفية تحت خرطومه، يلسع بها ما يخافه من الحيوان، فتسمّ الموضع سمّاً غير قوي، ولكن الذبابةَ إذا انفصلت شوكتُها تموت.

وهو ثلاثة أصناف: ذكر، وأنثى، وخنثى، فالذكور هي التي تحرس بيوتها، ولذلك تكون محوّمة بالطيران والدّوي أمام البيت، وهي تُلقح الإناث لقاحاً به تلد الإناث إناثاً.

والإناثُ هي المسمّاة اليعاسيب، وهي أضخم جرماً من الذكور، ولا تكون التي تلد في البيوت إلا أنثى واحدة، وهي قد تلد بدون لقاح ذكر؛ ولكنّها في هذه الحالة لا تلد إلا ذكوراً، فليس في أفراخها فائدة لإنتاج الوالدات.

وأما الخنثى فهي التي تفرز العسل، وهي العواسل، وهي أصغر جرماً من الذكور، وهي معظم سكان بيت النّحل [١١١].

ـ وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: النحل دابة أصغر من الجندب [١١٢].

ـ علي وقومه .

ـ بنو هاشم، حدث حماد عن أبيه قال: كان بشار جالسًا في دار المهدي والناس ينتظرون الإذن، فقال بعض موالي المهدي لمن حضر: ما عندكم في قول الله عز جل: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾، فقال له بشار: النحل التي يعرفها الناس، قال: هيهات يا أبا معاذ! النحل بنو هاشم، وقوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ يعني العلم، فقال له بشار: أراني الله شرابك وطعامك وشفاءك مما يخرج من بطون بني هاشم فقد أوسعنا غثاؤه، فغضب وشتم بشارًا، فبلغ المهدي الخبر، فدعا بها، وسألها عن القصة، فحدثه بشار بها، فضحك حتى أمسك على بطنه، ثم قال للرجل: أجل، فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم، فإنك بارد غثّ [١١٣].

تعقيب :

بعد عرض أقوال العلماء يتضح أن الراجح عند جمهور المفسرين أن المراد بالنحل: النحل المعروف، وبالشراب الذي يخرج من بطونها: العسل.

ويشهد لذلك الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيها عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ "أن رجلا جاء إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال: "اسقه عسلا"، فذهب فسقاه عسلا، ثم جاء، فقال: يا رسول الله، سقيته عسلا فما زاده إلا استطلاقا، قال: "اذهب فاسقه عسلا "، فذهب فسقاه عسلا، ثم جاء فقال: يا رسول الله، سقيته عسلا فما زاده إلا استطلاقا، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: "صدق الله، وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقه عسلا " فذهب، فسقاه عسلا، فبرئ" [١١٤].

أما القول بأن المراد بالنحل: علي وقومه، أو بنو هاشم، وأن المراد بالشراب الذي يخرج من بطونها العلم، فهو من التأويلات المضحكة، التي تخالف مقصد السورة وسياقها .

فمقصودها الأعظم وسياقها العام ـ كما ذكر البقاعي ـ في الدلالة على أنه تعالى تامُ القدرة والعلم، فاعل بالاختيار، منزه عن شوائب النقص، وأدل ما فيها على هذا المعنى أم النحل؛ لما ذكر من شأنها، من دقة

مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان، ٦١/ ٢٨ .

(١١١) التحرير والتنوير ٨ /١٥٤.

(١١٢) السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين (١٩٩٣م) " الدر المنثور" دار الفكر بيروت، ٥/ ١٤٣ ، تفسير ابن أبي حاتم (ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com) ٩٨/٩.

(١١٣) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، موقع الوراقhttp://www.alwarraq.com ، صـ ٩٧ .

(١١٤) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (١٤٠٧هـ ١٩٨٧م) " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" تحقيق د مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، الطبعة الثالثة، الناشر دار ابن كثير اليمامة – بيروت ٢١٥٢/٥ باب الدواء بالعسل رقم (٥٣٦٠)، ٢١٦١/٥ باب دواء المبطون رقم (٥٣٨٦) ، النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري " الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم" دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة . بيروت من دون، ١٧٣٦/٤ باب التداوي بسقي العسل رقم(٢٢١٧)، ٧ /٢٦ رقم ٥٩٠١ ، ابن حنبل، أحمد (١٤٢٠هـ ١٩٩٩م) " مسند الإمام أحمد بن حنبل " تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة، ٢٣٤/١٧ رقم (١١١٤٦)، ١٨ /٣٧٦ رقم (١١٨٧١) ، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (١٣٤٤ هـ) " السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي " الطبعة الأولى الناشر مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدرآباد، باب أَدْوِيَةِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – سِوَى مَا مَضَى فِى الْبَابِ قَبْلَهُ ٩ /٣٤٤ رقم (٢٠٠٤٨) .

الفهمة في ترتيب بيوتها، ورعيها، وسائر أمرها، من اختلاف ألوان ما يخرج منها من أعسالها، وجعله شفاء، مع أكلها من الثمار النافعة والضارة، وغير ذلك من الأمور، ووسمها بالنعم واضح في ذلك ـ والله أعلم ـ [115].

والقول بأن المراد بالنحل علي وقومه، أو بنو هاشم يناكد هذا الغرض، ولا يتلاقى أو يتناسب مع هذا المقصد؛ إذ إن خروج العلم من البشر ـ وبخاصة أهل الفضل من أمثال علي ـ رضي الله عنهم جميعا ـ أمر طبعي عادي، لا دلالة فيه على تمام القدرة، ولا الامتنان، أو العظة، والعبرة، الذي جاءت الآيات لإثباته، فضلا عن أن العلم إن ساغ التعبير عنه بـ (شراب)، و(فيه شفاء للناس)، فإنه لا يسوغ ـ فضلا عن أنه لم يرد ـ وصفه بأنه (مختلف ألوانه)، مما يثبت أن القول بأن قوله: " يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ" [116] يعني العلم غير صحيح في ذاته .

كما أن تأنيث ضمير المخاطب الذي اطرد في " اتخذي، كلي، اسلكي"، وكذلك تأنيث ضمير الغيبة الوحيد العائد على "النحل" في السياق في "بطونها" مع أن النحل اسم جمع يجوز معه تذكير ما يعود عليه وتأنيثه ـ يمنع في رأيي، أو على الأقل يضعف القول بأن المراد بالنحل علي وقومه، أو بنو هاشم؛ لأنه لا وجه للعدول عن الظاهر، ومخالفة المرجع الواضح.

أما سياقها الخاص فهو سياق الامتنان والإنعام والاعتبار بما يشهد بالوحدانية، والقدرة، والفعل بالاختيار، المستلزم لإثبات دعائم الدين، والقدرة على البعث؛ إذ جاءت بعد قوله ـ سبحانه ـ :

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝٦٥ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٦٦ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [117]، فهي عطف عبرة على عبرة ، ومنة على منة [118].

قال الإمام البقاعي ـ رحمه الله ـ : " لما ذكر سبحانه هذا الأمر العام { يقصد قوله ـ سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [119]، ونبه على ما فيه من غريب الصنع الذي غُفِل عنه لشدة الألف به، أتبعه بعض ما ينشأ عنه من تفاصيل الأمور، المحتوية على عجائب المقدور، وبدأ بأعمها وأشدها ملابسة لهم، وأكثرها في نفوسهم، وأعظمها منفعة ودخلاً في قوام عيشهم، فقال:﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [120].

ولما كان أمر النحل في الدلالة على تمام القدرة وكمال الحكمة أعجب مما تقدم وأنفس، ثلَّث به{ بعد آيتي الأشجار والأنعام ـ٦٦،٦٧ } وأخّره؛ لأنه أقل الثلاثة عندهم، وغيّر الأسلوب، وجعله من وحيه إيماء إلى ما فيه من غريب الأمر، وبديع الشأن، وعظيم الحكمة[121]؛ إذ أودع في خلق هذه الحشرة الضعيفة هذه الصنعة العظيمة، وجعل فيها هذه المنفعة، كما أودع في الأنعام ألبانها، وأودع في ثمرات النخيل والأعناب شراباً، فقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ

---

(١١٥) البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (١٤١٥هـ ١٩٩٥ م) " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٤٣/٤.

(١١٦) سورة النحل : ٦٩.

(١١٧)النحل ٦٥ . ٦٧ .

(١١٨) التحرير والتنوير ٨ /١٥٤ .

(١١٩)النحل ٦٥ .

(١٢٠) النحل ٦٦ ، ٦٧ .

(١٢١) نظم الدرر ٢٨٤/٤،٢٨٥ .

﴿ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [١٢٢]، وكان ما في بطون النحْل وسطاً بين ما في بطون الأنعام وما في قلب الثمار{ يقصد في قوله: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ؛ لأن النحل يمتصّ ما في الثمرات والأنوار من المواد السكّرية العسليّة، ثم يخرجه عسلاً، كما يَخْرج اللبن من خلاصة المرعى.

وفيه عبرة أخرى، وهي أن أودع الله في ذبابة النحل إدراكاً لصنع محكم مضبوط منتج شراباً نافعاً لا يحتاج إلى حلب الحالب.

فافتتحت الجملة بفعل "أوْحى" دون أن تفتتح باسم الجلالة مثل جملة ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ ﴾؛ لما في(أَوْحَى) من الايماء إلى إلهام تلك الحشرة الضعيفة تدبيراً عجيباً، وعملاً متقناً، وهندسة في الجبلة.

فكان ذلك الإلهام في ذاته دليلاً على عظيم حكمة الله ـ تعالى ـ، فضلاً على ما بعده من دلالة على قدرة الله ـ تعالى ـ ومنّة منه[١٢٣].

فالآيات تتحدث عن النحل وما يخرج من بطونها وهو العسل، و السياق يدل عليه، ومن ثم فلا وجه للعدول عن الظاهر، ومخالفة المرجع الواضح، بالقول بأن المراد بالنحل علي وقومه، أو بنو هاشم.

المبحث الثالث: ما وصفه الزمخشري بأنه من بدع المتصوفة.

صرح الزمخشري بهذا الوصف في موضع واحد، وذلك عند حديثه عن معاني كلمة "الرعد" في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾(١٢٤).

حيث قال:"ومن بدع المتصوّفة. الرعد صعقات الملائكة، والبرق زفرات أفئدتهم، والمطر بكاؤهم"[١٢٥].

أشار الزمخشري في هذا الموضع إلى أن القول بأن المقصود بالرعد ـ في الآية ـ صعقات الملائكة، وبالبرق زفرات أفئدتهم، وبالمطر بكاؤهم من بدع المتصوفة .

تفسير اللفظة:

بالرجوع إلى معاجم اللغة و كتب التفسير يتضح أن كلمة (الرعد) ورد فيها عن السلف ثلاثة أقوال:

الأول: أنه ملك من الملائكة موكل بالسحاب، يزجره بصوته[١٢٦]، معه مجاديف من نار يسوق بها السحاب، قالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال زجره للسحاب، قالوا: صدقت"، وأخرج ابن مردويه، عن عمرو بن بجاد الأشعري قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : " الرعد ملك يزجر السحاب، والبرق طرف ملك يقال له: روفيل".

وأخرج ابن مردويه، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (ﷺ) قال: "إن ملكا موكلا بالسحاب يلم القاصية ويلحم الرابية، في يده مخراق، فإذا رفع برقت، وإذا زجر رعدت، وإذا ضرب صعقت "...[١٢٧].

فالرعد ـ على هذا الرأي ـ ملك.

وقد اختلف في صفته، فقيل: ملك يسبح، وروى ذلك عن أبي صالح، ومجاهد في أحد قوليه.

وقيل: ملك يزجر السحاب بصوته، وعزي ذلك لمجاهد.

وقيل: ملك يصوّت بالسحاب كالحادي بالإبل، ونسب ذلك لعكرمة" [١٢٨].

قال ابن الجوزي: "ذكر أهل التفسير أن الرعد في القرآن على قولين، أحدهما: أنه اسم الملك الذي يزجر السحاب...[١٢٩] "، و تسبيحه صوته الذي يسمع[١٣٠]، قاله مقاتل .

---

(١٢٢) النحل ٦٨،٦٩ .

(١٢٣) التحرير والتنوير ٨/ ١٥٤ وما بعدها .

(١٢٤) سورة الرعد ١٣.

(١٢٥) الكشاف ٢/ ٤٨٩ .

(١٢٦) وهو منسوب لابن عباس، ومجاهد، وعكرمة ينظر الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (١٤١٢ هـ ١٩٩٢م) " الزاهر في معاني كلمات الناس " تحقيق د حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة – بيروت، ٢٦٢/٢ وما بعدها ، ويراجع في ذلك أيضا: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد " كتاب العين " تحقيق د مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال (ر ع د) ، القاموس المحيط (ر ع د) ، ابن سيده، " المحكم والمحيط الأعظم " موقع الوراق http://www.alwarraq.com، ٢٠٢/١ ، الزَّبيدي، تاج العروس دار الهداية من دون تاريخ، (ر ع د) .

(١٢٧) ينظر الرازي(١٤٢١هـ ٢٠٠٠ م)" مفاتيح الغيب " الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩ /٢١ ، مسند أحمد ٢٧٤/١، الراغب الأصفهاني " المفردات " دار القلم دمشق، ص ٤٠٥، الإتقان ٢٦٤/٤، السيوطي(١٩٩٣م)" الدر المنثور " دار الفكر. بيروت، (المكتبة الشاملة)، ٤/ ٦٢١ وما بعدها.

(١٢٨)النحاس(١٤٠٩هـ) "معاني القرآن" تحقيق محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى٤٨٢/٣ ، الإتقان ٧٣/٤.

(١٢٩)ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن(١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م) " نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" تحقيق محمد

وهذا ما عليه أكثر المفسرين من أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب، والصوت المسموع منه تسبيحه، أو صوت زجره للسحاب، على التسمية بالمصدر، والتقدير: ذو الرعد أو الراعد[١٣١]؛ لأن ما عطف عليه، وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾[١٣٢] يقتضي أن يكون المعطوف عليه مغايرًا للمعطوف؛ لأنه الأصل.

وأجيب على ذلك بأنه من قبيل ذكر الخاص قبل العام تشريفًا[١٣٣]، أو أن ذكره على الإفراد مع ذكر الملائكة بعده؛ لمزيد خصوصية له، وعناية به .

الثاني: أنه الصوت الذي يسمع من السحاب[١٣٤]، أو من الملك[١٣٥]، ومنه قوله ـ تعالى ـ : "فيه ظلمات ورعد وبرق"، وإنما خص الرعد بالتسبيح؛ لأنه من أعظم الأصوات...، واخباره عن الصوت بالتسبيح مجاز، كما يقول القائل: قد غَمَّني كلامُك[١٣٦].

فالرعد اسم لهذا الصوت المخصوص، والتسبيح والتقديس وما يجري مجراهما ليس إلا وجود لفظ يدل على حصول التنزيه والتقديس لله ـ سبحانه وتعالى ـ فلما كان حدوث هذا الصوت دليلًا على وجود متعال عن النقص والإمكان، كان ذلك في الحقيقة تسبيحًا[١٣٧].

الثالث: عبارة عن محاولات جادة لبعض المفسرين، وبعض أهل اللغة، والفلاسفة في تفسير الرعد والبرق، بناء على ما كان من العلم بهذه الظواهر الكونية في عصرهم.

ومنهم ابن عطية ـ رحمه الله ـ حيث قال: "وقيل: إن الرعد ريح تخفق بين السحاب، وروي ذلك عن ابن عباس في غير ما ديوان...، وروي أيضا عن ابن عباس أن المَلَكَ إذا غضب وزجر السحاب اصطدمت من خوفه فيكون البرق وتحتك فتكون الصواعق"[١٣٨].

واعترض عليه أبو حيان بقوله: "وهذا عندي لا يصح؛ لأن هذا نزغات الطبيعيين وغيرهم من الملاحدة"[١٣٩]، مع أن قول ابن عطية أقرب إلى الصواب من تفسير الرعد بصوت الملك الذي يسوق السحاب، والبرق بضوء مخراقه.

وقد حاول الإمام الرازي التوفيق بين ما قاله المحققون من الحكماء، وما ورد في هذه الأحاديث والآثار، حيث قال: "إن المحققين من الحكماء يذكرون أن هذه الآثار العلوية إنما تتم بقوى روحانية فلكية، وللسحاب روح معين من الأرواح الفلكية يدبره، وكذا القول في الرياح وسائر الآثار العلوية، وهو عين ما قلنا: من أن الرعد اسم لملك من الملائكة يسبح الله تعالى، فهذا الذي قاله المفسرون بهذه العبارة هو عين ما ذكره المحققون من الحكماء، فكيف يليق بالعاقل الإنكار"[١٤٠]، وأنكره عليه أبو حيان ـ أيضا ـ بقوله: "وهذا الرجل غرضه جريان ما تنتحله الفلاسفة على مناهج الشريعة، وذلك لا يكون أبداً "[١٤١].

ثم ذكر الإمام الألوسي آراء الفلاسفة في حدوث الرعد من أن الريح تحتقن في داخل السحاب، ويستولي البرد على ظاهره، فيتجمد

عبد الكريم كاظم الراضي الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة لبنان / بيروت، ١ /٣٠٩ .

(١٣٠)الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد "كتاب العين" تحقيق دمهدي المخزومي، ودإبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال، (ر ع د)، ابن سيدة " المحكم والمحيط الأعظم " موقع الوراقhttp://www.alwarraq.com، ٢٠٢/١ .

(١٣١)المصري، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم(١٩٩٢م) "التبيان في تفسير غريب القرآن" تحقيق دفتحي أنور الدابولي، الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة،٦٢/١، العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت ٦١٦ هـ)، (١٣٩٩ هـ١٩٧٩م) "إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن" الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت لبنان (موقع يعسوب) ٦٢/٢، الإتقان ٤/ ٧٩.

(١٣٢) سورة الرعد ١٣.

(١٣٣) ينظر مفاتيح الغيب ٢١/١٩.

(١٣٤) اللسان (ر ع د) .

(١٣٥) ينظر الزَّبيدي، تاج العروس (ر ع د) .

(١٣٦) زاد المسير ٣١٣/٤.

(١٣٧) ينظرمفاتيح الغيب ١٩/ ٢٢،٢١ .

(١٣٨)الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (١٤١٣هـ ١٩٩٣م) " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – لبنان ٢٠٨/٣ .

(١٣٩)الأندلسي، أبو حيان (١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م) " تفسير البحر المحيط" تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض،شارك في التحقيق د زكريا عبد المجيد النوقي، د أحمد النجولي الجمل الطبعة الأولى دار الكتب العلمية لبنان . بيروت٥ /٣٦٦.

(١٤٠) ينظرمفاتيح الغيب ١٩/ ٢٢ .

(١٤١) تفسير البحر المحيط ٥ /٣٦٦ .

السطح الظاهر، ثم إن ذلك الريح يمزقه تمزيقا عنيفا، فيتولد من ذلك حركة عنيفة.

أما تكوُّن السحاب فذكروا أنه عبارة عن أبخرة متصاعدة قد بلغت في صعودها إلى الطبقة الباردة من الهواء، ثم تكثفت بسبب البرد، ولم يقدر الهواء على حملها، فاجتمعت وتقاطرت، ويقال لها: مطر(١٤٢).

أقول: وقد أصابوا في تكوُّن السحاب ونزول المطر،فما قالوه آخر ما وصل إليه العلم اليوم.

أما في تكوُّن الرعد والبرق فقد حاولوا، وقاربوا ـ وبحسبهم هذا فضلا ـ وإن لم يصلوا إلى الحقيقة العلمية المعروفة اليوم(١٤٣).

إلا أن الآلوسي رد على ما قاله الفلاسفة بقوله: " ورُدَّ الأول(ما قاله الفلاسفة في حدوث الرعد) بأنه خلاف المعقول من وجوه:

أولها: أنه لو كان الأمر كما ذكر لوجب أن يكون كلما حصل البرق حصل الرعد وهو الصوت الحادث من تمزيق السحاب، ومعلوم أنه كثيرا ما يحدث البرق القوي من غير حدوث الرعد.

ثانيها: أن السخونة الحاصلة بسبب قوة الحركة مقابلة بالطبيعة المائية الموجبة للبرد، وعند حصول هذا المعارض القوي كيف تحدث النارية؟، بل يقال: النيران العظيمة تنطفئ بصب الماء عليها والسحاب كله ماء، فكيف يمكن أن يحدث فيه شعلة ضعيفة نارية ؟

ثالثها:أن من مذهبكم أن النار الصرفة لا لون لها ألبتة، فهب أنه حصلت النارية بسبب قوة المحاكّة الحاصلة في أجزاء السحاب، لكن من أين حدث ذلك اللون الأحمر ؟

ورد الثاني(ما قاله الفلاسفة في تكوّن السحاب) بأن الأمطار مختلفة فتارة تكون قطراتها كبيرة، وتارة تكون صغيرة، وتارة تكون متقاربة، وأخرى تكون متباعدة، إلى غير ذلك من الاختلافات، وذلك مع أن طبيعة الأرض واحدة، وطبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة يأبى أن يكون ذلك كما قرروا.

وأيضا التجربة دالة على أن للتضرع والدعاء في انعقاد السحاب ونزول الغيث أثرا عظيما، وهو يأبى أن يكون ذلك للطبيعة والخاصية، فليس كل ذلك إلا بإحداث محدث حكيم قادر يخلق ما يشاء كيف يشاء"(١٤٤).

وما ذكره الآلوسي من ردود ـ في الحقيقة ـ لا ينهض ولا يقوى ليكون أدلة في رد كلامهم.

ثم نقل عن بعض المحققين قولهم: "لا يبعد أن يكون في تكون ما ذكر أسباب عادية، كما في الكثير من أفعاله تعالى، وذلك لا ينافي نسبته إلى المحدث الحكيم ـ جل شأنه ـ ومن أنصف لم يسعه إنكار الأسباب بالكلية، فإن بعضها كالمعلوم بالضرورة "، ثم قال: "وبهذا أنا أقول"(١٤٥).

وتابعه الدكتور مُحَمَّد أبو شهبة مرددا القول نفسه: وأنا أيضًا بهذا أقول؛ لأن كون الظواهر الكونية لها نواميس خاصة لحدوثها لا ينافي قط أنه سبحانه الخالق للكون، والمدبر له، فهو سبحانه الموجد لهذه النواميس، وهو الموجد لهذه السنن التي يسير عليها الكون، فإن بعض هذه النواميس والسنن أصبحت معلومة بالضرورة، فإنكارها باسم الدين أو التشكيك فيها ـ ومنها: تَكَوُّنُ السحب، وحدوثُ الرعد، والبرق، والصواعق، وغيرُها ـ يعود على الدين بالضعف، ويضره أكثر من طعن أعدائه فيه، ولعلك على ذكر مما ذكرته عن حجة الإسلام الغزالي ـ رحمه الله ـ في هذا المقام(١٤٦).

وذكر الشيخ المناوي أن الرعد هو صوت اصطكاك السحاب، ويكنى به عن التهديد(١٤٧).

والتفسير العلمي الحديث للرعد يؤكد أنه عبارة عن موجات صدمة صوتية قوية، تحدث فيزيائياً نتيجة نشوء ازدياد مفاجئ في الضغط ودرجة الحرارة في وسط الهواء المحيط، بسبب حدوث البرق، هذا التمدد يشكل بدوره موجات صدمة صوتية .

قال د/مُحَمَّد أبو شهبة: "... البرق يمثل قوة كهربائية هائلة، تستطيع أن تكوّن فكرة عنها إذا عرفت أن شرارته قد تبلغ ثلاثة أميال، في طولها، أو تزيد، وأن أكبر شرارة كهربائية أحدثها الإنسان لا تزيد عن بضعة أمتار.

فالحرارة الناشئة عن البرق لا شك هائلة، فهي تمدد الهواء بشدة، وتحدث مناطق جوية عظيمة مخلخلة، الضغط داخلها يعادل الضغط خارجها، ما دام الهواء داخل المنطقة ساخنا، حتى إذا تشععت حرارته وبردت تلك المناطق برودة كافية ـ وما أسرع ما تبرد ـ خف منها الضغط، وصار أقل كثيرا من ضغط الطبقات الهوائية السحابية المحيطة بها، فهجمت عليها فجأة بحكم الفرق العظيم بين الضغطين وتمددت فيها، وحدث لذلك صوت شديد هو صوت الرعد وهزيمه، هذا الصوت قد يكون له صدى بين كتل السحاب، يتردد، فنسميه قعقعة الرعد، أما صوت الشرارة الكهربائية البرقية، فهو: بدء الرعد، ويكون ضعيفا بالنسبة لهزيمه وقعقعته، لذلك: تسمع الرعد ضعيفا في الأول ثم يزداد، كأنما أوله إيذان بتضخمه، كما قد تؤذن الطلقة الفردة

---

(١٤٢) ينظر الآلوسي ١٩/١٣.

(١٤٣) ينظر أبو شهبة، محمد بن محمد "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" الطبعة الرابعة مكتبة السنة، ١ /٣٧٥، ٣٧٦ .

(١٤٤) ينظر الآلوسي ١٩/١٣ ،١٢٠.

(١٤٥) ينظر الآلوسي ١٢٠/١٣.

(١٤٦) ينظر الآلوسي ١٣/ ١١٩، أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ١ /٣٧٦ .

(١٤٧) ينظر المناوي، محمد عبد الرؤوف (١٤١٠هـ) "التوقيف على مهمات التعاريف" تحقيق د محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى دار الفكر المعاصر، دار الفكر بيروت . دمشق١/٣٦٧ .

بانطلاق بطاريات برمَّتها من المدافع الضخمة في الحروب، فالرعد يحدث لا عند اتحاد الكهربائيتين حين يحدث البرق فقط، ولكن يحدث أكثره بعد ذلك عند تمدد الكتل الهوائية الهاجمة في المنطقة المفرغة، وهي إذا تمددت بردت برودة شديدة، فيتكاثف ما فيها من البخار، ومن كتل السحاب، فينزل على الأرض إما مطرا، وإما بردا، حسب مقدار البرودة الحادثة في تلك المناطق، وهذا هو السبب في أن الرعد والبرق يعقبها في الغالب مطرات شديدة، سواء أكانت المطرة مائية، أم بردية، وقطرات الماء أو حبات البرد تمو بعد ذلك باختراقها كتل السحاب المتراكم تحت المنطقة التي حدث فيها التفريغ [١٤٨].

فالرعد إذن صوت يسببه البرق؛ إذ يتسبب البرق في تسخين الهواء القريب وتمدده، ومن ثم يصطدم الهواء الحار المتمدد بالهواء البارد، فتنتج الموجات الصوتية التي نسمعها وهي الرعد.

والأصوات المختلفة للرعد تنتج عن الأجزاء المختلفة من سهم البرق.

فالجسم الرئيس للبرق ينتج عنه ارتطام عال، أما الفروع فينتج عنها صوت فرقعة حادة .

وهو تفريغ كهربائي من سحابة إلى أخرى، أو من سحابة إلى الأرض، يصحبه انبعاث شرارات تعرف بالبرق، وهذه الشرارات تحدث حرارة عالية في مناطق الهواء التي تنبعث منها فتتمدد تلك المناطق على نحو فجائي، وهذه الحرارة تجعل جزيئات الهواء تتمدد أو تتطاير في كل الاتجاهات، وبينما تبحث الجزيئات عن حيز أكبر، فإنها تصطدم بعنف بطبقات الهواء البارد، محدثة موجة هوائية ضخمة يكون لها صوت الرعد[١٤٩].

وخلاصة القول أن الرعد في العلم الحديث عبارة عن موجة هوائية ضخمة لها صوت قوي ناشئ من اصطدام الشرارات ـ أو الجزئيات المتمددة من الهواء الساخن المسماة بالبرق ـ بعنف بطبقات الهواء البارد، فهو عن حركة قوية، واضطراب عنيف، ينشأ عنه صوت قوي مفزع .

وهذا ما أشار إليه بوضوح العلامة ابن فارس ـ رحمه الله ـ في قوله:

" (رع د) الراء والعين والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على حركةٍ واضطرابٍ .

وكلُّ شيءٍ اضطربَ فقد ارتعدَ.

ومنه الرِّعديدَة .

والرِّعْديد: الجبان .

وأرْعِدَتْ فرائصُ الرَّجُل عند الفَزَع .

والرِّعديدة: المرأة الرَّخْصَة ، والجمع رَعاديد .

ومن الباب الرَّعْد، وهو مَصْع مَلَكٍ يسوقُ السَّحَاب .

والمَصْع: الحركة والذَّهاب والمَجِيء .

ويقال مَصَعَت [الدَّابَّة] بذنَبها، إذا حرّكَتْه [١٥٠] ".

وفي تفسير التسبيح وإسناده إلى الرعد ثلاثة اتجاهات:

أولها: أنه ليس تسبيح الرعد، ولكنه تسبيح من يسمعه[١٥١] على أن في الكلام حذفًا، أي: سامعو الرعد، أو أن الإسناد مجازي من قبيل الإسناد إلى السبب والحامل عليه، والباء في " بحمده " للملابسة، أي: يسبح السامعون لذلك الصوت متلبسين بحمد الله، فيقولون: سبحان الله، والحمد لله[١٥٢]؛ لأنهم يكونون خائفين فزعين من شدة ذلك الصوت الذي يجعلهم في حال إدراك لقوة منشئه، فيسبحون خوفا، وفزعا، وتعجبا، كما تكون النفس عند رؤية أي أمر مزعج .

ثانيها: أنه تسبيح الرعد، فالرعد ذاته (ذلك الصوت الشديد) يكون في حال تسبيح الله ـ تعالى ـ وحده؛ لأن هذا الصوت المزعج الرهيب المفزع يكون خاضعًا لله ـ تعالى ـ دالًا على توحيده، وعلى كمال سلطانه، أي: يسبح الرعد نفسه بحمد الله: أي ملتبسًا بحمده،

---

(١٤٨) ينظر أبو شهبة "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" ١ /٣٨٠،٣٨١، كما يراجع في ذلك الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني(١٤١٩هـ ١٩٩٨م) "كتاب الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)" تحقيق عدنان درويش، محمد المصري مؤسسة الرسالة بيروت١/٧٧٨،٧٧٩.

(١٤٩) وللرعد أصوات مختلفة. فالهزيم العميق المقعقع للرعد، تسببه موجة الهواء، من مركز البرق البعيد عن المراقب، أما الفرقعة الحادة للرعد فإنها تنطلق عندما يتشعب الجسم الكبير للبرق إلى فروع كثيرة .

أما صوت الارتطام المرتفع للرعد، فينتج عن الجسم الرئيسي للبرق الذي يكون قريبًا من المراقب، ويصل إلينا صوت الرعد بعد أن نرى البرق، والسبب في ذلك هو أن الضوء يتحرك بسرعة ٢٩٩,٧٩٢ كم في الثانية، بينما يتحرك الصوت بسرعة ٣٣٥م في الثانية، وبقسمة عدد الثواني ما بين رؤية وميض البرق، وسماع الرعد على ثلاثة ، نحصل على المسافة بين البرق والمراقب بالكيلومترات. ينظر في ذلك الموسوعة العربية العالمية (المكتبة الشاملة)، الأحمد نكري، القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول(١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م "دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون" عرب عباراته الفارسية حسن هاني فحص، الطبعة الأولى دار الكتب) العلمية لبنان / بيروت ٢ /١٠٠.

(١٥٠) ابن فارس(١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الفكر(ر ع د).

(١٥١) ينظر الشوكاني، فتح القدير(المكتبة الشاملة) ٣/١٠٣.

(١٥٢) ينظر أبو السعود، محمد بن محمد العمادي "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" دار إحياء التراث العربي بيروت٥/٩، تفسير البيضاوي دار الفكر– بيروت من دون٢ /٣٢٢ ، الألوسي "روح المعاني" دار إحياء التراث العربي– بيروت ١٣/ ١١٨.

وليس هذا بمستبعد "وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ" [١٥٣]، كما أنه لا مانع من أن ينطقه الله ـ تعالى ـ بذلك .

أو يكون المراد أن الرعد (الراعد، أو ذو الرعد "الملك") يسبح الله تعالى، وينزهه، ولا إشكال في ذلك، قال الآلوسي: والذي اختاره أكثر المحدثين أن الإسناد حقيقي، بناء على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب، فقد روى أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي، وآخرون عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن اليهود سألوا رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا: أخبرنا ما هذا الرعد ؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : " ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب، بيديه مخراق من نار، يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمره الله تعالى" [١٥٤] قالوا: فما ذلك الصوت الذي نسمعه ؟ قال: "صوته" قالوا: "صدقت" [١٥٥].

ورده الدكتور مُحَمَّد أبو شهبة بقوله: "وهذا الحديث ـ إن صح ـ يمكن حمله على التمثيل، ولكني لا يطمئن قلبي إليه، ولا أكاد أصدق وروده عن المعصوم ـ ﷺ ـ وإنما هو من إسرائيليات بني إسرائيل أُلصقت بالنبي ـ ﷺ ـ زورًا ، ثم كيف يتلاءم ما روي مع قوله ـ قبل ـ : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ** ﴾، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ** ﴾، فالآية في بيان قدرة الله وعظمته في إحداث هذه الآيات الكونية على حسب ما خلقه الله في الكون من نواميس وأسباب عادية!...، وتسبيح ملك الرعد لا يلائم ذلك، وعطف الملائكة على الرعد يقتضي أن يكون الرعد غيرها لما ذكرنا، وكأن السرّ في الجمع بينها: بيان أنه تواطأ على تعظيم الله وتنزيهه الجمادات والعقلاء، وأن ما لا يعقل منقاد لله وخاضع لانقياد العقلاء سواء بسواء، ولا سيما الملائكة الذين هم مفطورون على الطاعة والانقياد [١٥٦].

ثالثها: إن تسبيح الرعد بلسان الحال لا بلسان المقال؛ حيث شبه دلالة الرعد على قدرة الله ـ وعظمته، وإحكام صنعته، وتنزيهه عن الشريك والعجز ـ بالتسبيح والتنزيه والتحميد اللفظي، ثم استعار لفظ "يسبح" لهذا المعنى [١٥٧]، وقالوا: إن هذا المعنى أنسب وأقعد من الآخر [١٥٨].

وأحسب أن الاتجاه الثالث أقرب إلى الصواب؛ لأنه يتفق مع النسق القرآني؛ إذ النسق القرآني ـ هنا ـ يبين خضوع الكون (بكل ما فيه، ومنهم سامعو الرعد من خلقه سبحانه) ومظاهره لله ـ تعالى ـ مسبحًا بحمده، كما أنه يدل على الباعث على هذا التسبيح، وهو حمده ـ تعالى ـ على نعمة إيجاده ، وعظمته، وكمال قدرته، فضلا عن خشيته ـ تعالى ـ والخوف منه ـ والله تعالى أعلى وأعلم ـ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات وبتوفيقه ترفع الدرجات، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبّ ويرضى، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه. وبعد،،،،،

فقد كشفت هذه الإطلالة حول بدع الرافضة والمتصوفة في تفسير الكشاف للإمام " الزمخشري" ما يلي:

١ـ أن بدع (الرافضة أوالمتصوفة) حكم يطلقه الزمخشري على التفسيرات الخارجة عن القواعد التي اعتمدها أهل التفسير في مقابل التفسير الصحيح، ومن ثم وجب إبعاده، وتنقية التفاسير منها.

٢ ـ أن ما ذكره الزمخشري منها، ونسبه إلى الرافضة موضعان:

الأول: الذي يتعلق بالقراءات، وذلك قوله ـ تعالى ـ: "فإذا فرغت فانصب".

حيث ذكر " الزمخشري" أنه قرئ " فانصِبْ" بكسر الصاد، والمعنى: أنصب عليًا للإمامة، ووصفها أنها من البدع التي رويت عن بعض الرافضة.

وقد وافقه على ذلك جمهور المفسرين والقراء، وردوا هذه القراءة؛ حيث وصفها ابن عطية بـ (الشاذة) [١٥٩]، والقرطبي بأنها باطلة في القراءة وفي المعنى [١٦٠]، والسمين[أنها تحريف يروى عن بعض

---

(١٥٣) سورة الإسراء ٤٤ .

(١٥٤) الحديث في الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي "الجامع الصحيح سنن الترمذي" تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت(المكتبة الشاملة) ٥ /٢٩٤ برقم ٣١١٧، وقال عنه: (حديث حسن غريب)، وفي السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (١٤٢٣هـ٢٠٠٣م)" الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير"، تحقيق يوسف النبهاني الطبعة الأولى، دار الفكر بيروت . لبنان٢/١٣٥ برقم (٦٦٨٩)، المتقي الهندي، علي بن حسام الدين(١٩٨٩ م) "كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال" مؤسسة الرسالة بيروت(المكتبة الشاملة) ٦/٢٣١ برقم (١٥٢٠٧)، ولفظه فيهما: " الرعد ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب، بيديه مخراق من نار، يسوق بها السحاب حيث شاء الله ".

(١٥٥) ينظر الآلوسي ١١٩/١٣.

(١٥٦)الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير /٣٧٥ .

(١٥٧) ينظر الآلوسي ١١٨/١٣.

(١٥٨)الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ١ /٣٧٣ .

(١٥٩) المحرر الوجيز ٤٩٨/٥.

(١٦٠) الجامع لأحام القرآن ١٠٩/٢٠.

الإمامية[١٦١]، وغيرهم[١٦٢]، وأيد ذلك غرض الآية الرئيس (الحث على استدامة العمل، وعدم الانقطاع عنه، والاجتهاد فيه، والاستزادة منه، ووصله بغيره)، وسياقها الباعث على الشكر والاجتهاد في العبادة من خلال تعداد النعم السالفة والوعود الآنفة[١٦٣].

الثاني: الذي جرى على خلاف معهود لغة القرآن، وخالف اللفظ والنظم والتركيب والسياق ـ وقد أشار إلى هذا في رده على الذين ذكروا أن المراد بـ (النحل) في قوله ـ تعالى ـ: "وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ..." بنو هاشم، وبـ (الخارج من بطونها) العلم ـ فأضحى ـ كما قال ـ من التأويلات المضحكة التي تخالف السياق، وتناكد الغرض، ولا تتلاق أو تتناسب مع المقصد، ولا وجه فيها للعدول عن الظاهر ومخالفة المرجع الواضح؛ لأن العلم إن ساغ التعبير عنه بـ (شراب)، و(فيه شفاء للناس) فإنه لا يسوغ ـ فضلا عن أنه لم يرد ـ وصفه بأنه (مختلف ألوانه) مما يثبت أن ذلك مخالف وغير صحيح .

٣ ـ **أن ما ذكره منها ونسبه للمتصوفة موضع واحد يتعلق بالمعنى**، هو قولهم أن المراد بالرعد في قوله ـ تعالى ـ : "وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ..." الرعد ١٣ صعقات الملائكة، وبالبرق زفرات أفئدتهم، وبالمطر بكاؤهم.

ووافقه على ذلك جمهور المفسرين، وأهل اللغة، وأيده العلم الحديث .

٤ ـ أن الزمخشري قد وُفّق في هذه المواضع ـ من وجهة نظر الباحث ـ ومن ثم كان دور الباحث دعم موقف الإمام، وتعضيد ما ذهب إليه بالأدلة ما استطاع، عن طريق استحضار غرض الآية، واستعراض سياقها، والرجوع إلى أهل اللغة، فضلا عن العلم الحديث ما أمكن .

٥ ـ أن الزمخشري علق على قراءة (فانصب) بكسر الصاد بقوله: "ولو صح هذا لرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذي هو بغض علي ـ رضي الله عنه ـ وعداوته "وهو ما يكشف به عن خطورة مثل هذه البدع، وما يترتب عليها من مفاهيم تخضع للأهواء، ولا علاقة لها بكلام الله وتفسيره ومعانيه.

وعلق ـ أيضا ـ على ما روي عن الرافضة من أن المراد بـ (النحل) علي وقومه بقول بشار للرافضي الذي قال ذلك: "جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم "، وبأنهم اتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم .

وهو يكشف ـ أيضا ـ خطورة هذه البدع على هيبة القرآن في النفوس، ومكانة معانيه في القلوب، ويقضي بوجوب اجتنابها في تفسير وفهم كلام الله ـ عز وعلا ـ وتنزيهه عنها، والبعد عن أن تكون أمثالها أوغيرها من جملة معانيه.

---

(١٦١) الدر المصون ٥٨٥٩/١.

(١٦٢) ينظر الآلوسي ١٧٠/٣٠.

(١٦٣) ينظر الكشاف ٧٧٧/٤ ، صـ ٢٥ من هذا البحث .

بينما لم يعلق على ما ذكره المتصوفة من أن المراد بالرعد صعقات الملائكة .

جنبنا الله الشبهة، وحفظنا من الزلل وسوء العمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

المراجع

ابن خلدون(١٩٨٤م١٤١٩هـ) "مقدمة ابن خلدون" الطبعة الخامسة، دار القلم .

ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن مُحَمَّد بن علي ابن عبيدالله بن حمادي بن أحمد بن جعفر، (١٩٨٥م)"غريب الحديث" تحقيق د عبدالمعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت.

ابن الجوزي "تلبيس إبليس" طبعة دار الوعي، طبعة دار الكتب العلمية ، من دون .

ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن(١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م) "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" تحقيق مُحَمَّد عبد الكريم كاظم الراضي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة لبنان/بيروت.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد(١٤٠٤هـ) "زاد المسير" الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي بيروت.

ابن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحليم(١٤٠٦ه) "منهاج السنة النبوية" تحقيق د مُحَمَّد رشاد سالم، الطبعة الأولى، مؤسسة قرطبة.

ابن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحليم(١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م) "مجموع الفتاوى" تحقيق أنور الباز، عامر الجزار، الطبعة الثالثة، دار الوفاء.

ابن تيمية(١٤١٦هـ١٩٩٥م) "مجموع فتاوى ابن تيمية" الإصدار الثاني، دراسة وتحقيق عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية - إعداد موقع روح الإسلام .

ابن تيمية(١٤١٧ه) "الرد على البكري تلخيص كتاب الاستغاثة" تحقيق مُحَمَّد علي عجال الطبعة الأولى، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة.

ابن حجر "فتح الباري" موقع الإسلام http://www.al-islam.com .

ابن حنبل، أحمد(١٤٢٠هـ ١٩٩٩م)"مسند الإمام أحمد بن حنبل" تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة.

ابن خالويه "مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع" مكتبة المتنبي القاهرة.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر(١٩٩٤م) "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر بيروت.

ابن سلام (١٣٨٤هـ١٩٦٤م) "غريب الحديث" الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند.

ابن سيده "المحكم والمحيط الأعظم" موقع الوراق http://www.alwarraq.com.
ابن عاشور(١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م) "التحرير والتنوير" الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان، موقع مكتبة المدينة الرقمية http://www.raqamiya.org.
ابن عطية الأندلسي، أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب المحرر(١٤١٣هـ١٩٩٣م) "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" تحقيق عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية لبنان.
ابن فارس، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (مقاييس اللغة) تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر.
ابن كثير(١٤١٩ه)"تفسير القرآن العظيم" تحقيق مُحَمَّد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية منشورات مُحَمَّد علي بيضون – بيروت.
أبو جيب، سعدي(١٤٠٨هـ ١٩٨٨م) "القاموس الفقهي لغة واصطلاحا" الطبعة الثانية، طبع دار الفكر دمشق سورية.
أبو شهبة، مُحَمَّد بن مُحَمَّد "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" الطبعة الرابعة مكتبة السنة .
الأحمد نكري، عبد رب النبي بن عبد رب الرسول(١٤٢١هـ ٢٠٠٠ م) "دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون" عرب عباراته الفارسية حسن هاني فحص، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت.
الأصفهاني، الراغب "المفردات" دار القلم، دمشق.
الآلوسي "روح المعاني" تحقيق علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت ،ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
الأنباري، أبو بكر مُحَمَّد بن القاسم(١٤١٢ هـ١٩٩٢م) "االزاهر في معاني كلمات الناس" تحقيق د حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت.
الأندلسي، أبو حيان(١٤٢٢ هـ٢٠٠١ م) "البحر المحيط" تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي مُحَمَّد معوض، شارك في التحقيق د زكريا عبد المجيد النوقي، ود أحمد النجولي الجمل الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت، دار الفكر بدون.
البخاري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي(١٤٠٧هـ١٩٨٧م) "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه" تحقيق د مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة جامعة دمشق، الطبعة الثالثة، الناشر دار ابن كثير اليمامة بيروت.
البروسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي(١٤١٥ه)"روح البيان" دار إحياء التراث العربى، بدون.
بسيوني، إبراهيم(١٩٦٩م) "نشأة التصوف الإسلامي" دار المعارف مصر.
البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن مُحَمَّد(١٩٧٧م) "الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية" الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة - بيروت .
البغوي الشافعي، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود بن مُحَمَّد بن الفراء(ت ٥١٦هـ)، (١٤٠٣هـ١٩٨٣م) "شرح السنة" تحقيق شعيب الأرناؤوط، مُحَمَّد زهير الشاويش ، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي دمشق بيروت.
البغوي، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود [المتوفى ٥١٦هـ]، (١٤١٧هـ١٩٩٧م) "معالم التنزيل" حققه وخرج أحاديثه مُحَمَّد عبد الله النمر،عثم ان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة، دار طيبة للنشر والتوزيع.
البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (١٤١٥هـ١٩٩٥ م) "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" دار الكتب العلمية ، بيروت.
البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي(١٣٤٤هـ) "السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي" الطبعة الأولى، الناشر مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد.
الترمذي السلمي، مُحَمَّد بن عيسى أبو عيسى "سنن الترمذي" تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت (المكتبة الشاملة).
الجرجاني، عبدالقاهر "دلائل الإعجاز" تح الشيخ شاكر ط المدني جدة.
الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر(١٤٢٤هـ٢٠٠٣م) "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير" مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، موقع مكتبة المدينة الرقمية http://www.raqamiya.org .
الجزري، أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد(١٣٩٩هـ١٩٧٩م) "النهاية في غريب الحديث والأثر" تحقيق طاهر أحمد الزاوى، محمود مُحَمَّد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
الجوهري(١٩٩٠م) "الصحاح" الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين- بيروت ، ومطابع دار الكتاب العربي.
الحلبي، السمين "الدر المصون في علم الكتاب المكنون" (الشاملة).
حماد، مُحَمَّد أحمد(١٩٩٨م) "مدخل إلى التفكير الدلالي" دار الثقافة العربية.
الحموي، ياقوت "معجم الأدباء" موقع الوراق الإلكتروني (http://www.alwarraq.com).
الحنبلي ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد(١٤٠٨ه) "جامع العلوم والحكم" الطبعة الأولى، دار المعرفة بيروت (الشاملة) .
الخازن، علاء الدين علي بن مُحَمَّد بن إبراهيم البغدادي(١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م) "لباب التأويل في معاني التنزيل" دار الفكر بيروت - لبنان .

الخطيب، عبد الكريم يونس التفسير"القرآني للقرآن" دار الفكر العربي، القاهرة .
الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو مُحَمَّد(١٤٠٧ه) "سنن الدارمي" تحقيق فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي – بيروت.
الدمشقي الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل(١٤١٩هـ١٩٩٨م) "اللباب في علوم الكتاب" تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي مُحَمَّد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.
الذهبي "ميزان الاعتدال" تحقيق علي مُحَمَّد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.
الذَهَبي، شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد "سير أعلام النبلاء" تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة.
الرازي(١٤٢١هـ ٢٠٠٠ م) "مفاتيح الغيب" الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت.
الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض "تاج العروس من جواهر القاموس" تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية من دون.
الزركشي(١٣٩١ه) "البرهان في علوم القرآن" تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت (موقع المكتبة الشاملة).
الزركلي "الأعلام" ، موقع يعسوب الإلكتروني .
زروق، عبد الله حسن (إبريل١٩٩٥م ذي القعدة ١٤١٥هـ) "أصول التصوف" المركز القومي للإنتاج الإعلامي.
الزمخشري الخوارزمي، أبو القاسم محمود بن عمر"الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
سعد، محمود توفيق مُحَمَّد(١٤٢٤هـ) "العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة" الطبعة الثانية، مكتبة وهبة ـ القاهرة .
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (١٤٢٠هـ٢٠٠٠م) "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.
السهروردي "عوارف المعارف" مطبعة السعادة.
السيوطي "الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة" موقع الوراق الإلكتروني.
السيوطي "جمع الجوامع أو الجامع الكبير" موقع ملتقى أهل الحديث (http://www.ahlalhdeeth.com).
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(١٤٢٣هـ٢٠٠٣م) "الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير" تحقيق يوسف النبهاني، الطبعة الأولى، دار الفكر بيروت/لبنان .
السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين(١٩٩٣م) "الدر المنثور" دار الفكر بيروت (المكتبة الشاملة). الأمين، عبد الله (١٤٠٦ هـ١٩٨٦م)"دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة"
السيوطي(١٣٩٤هـ١٩٧٤م) "الإتقان في علوم القرآن" تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب موقع مكتبة المدينة الرقمية http://www.raqamiya.org .
الشنقيطي، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد بن المختار الجنكي(١٤١٥هـ ١٩٩٥م) "أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن" دار الفكر بدون .
الطبري(١٤٢٠هـ٢٠٠٠م)"جامع البيان" تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة.
العباسي "معاهد التنصيص على شواهد التلخيص" موقع الوراق http://www.alwarraq.c .
عبد الحميد، عرفان "نشأة الفلسفة الصوفية" الطبعة الثامنة، المكتب الإسلامي ينقل عن نيكلسون مؤلف دائرة معارف القرن العشرين.
العجلوني، إسماعيل بن مُحَمَّد الجراحي "كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس" دار إحياء التراث العربي.
العكبري، أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت٥٣٨ - ٦١٦ هـ) ، (١٣٩٩ هـ١٩٧٩م) "إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن" الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان (موقع يعسوب).
العكري الدمشقي، عبد الحي بن أحمد "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" ط دار الكتب العلمية من دون.
العمادي، أبو السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد"إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" دار إحياء التراث العربي بيروت.
عواجي، غالب بن علي "فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها" http://www.saaid.net (المكتبة الشاملة).
الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد "كتاب العين" تحقيق د مهدي المخزومي، ود إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
الفيروزآبادي، القاموس المحيط .
الفيومي، أحمد بن مُحَمَّد بن علي المقري"المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" المكتبة العلمية – بيروت من دون.
القرطبي"الجامع لأحكام القرآن" موقع يعسوب (الشاملة).
القشيري النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم "صحيح مسلم" دار الجيل بيروت، ودار الأفاق الجديدة بيروت من دون .
القنوجي، صديق بن حسن (١٩٧٨م) "أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم" تحقيق عبد الجبار زكار دار الكتب العلمية بيروت (المكتبة الشاملة).

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني(١٤١٩هـ ١٩٩٨م) " الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" تحقيق عدنان درويش، مُحَمَّد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت.
مبارك ، زكي "التصوف الإسلامي" ط المكتبة العصرية – لبنان ، من دون .
المتقي الهندي، علي بن حسام الدين(١٩٨٩م) "كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال" مؤسسة الرسالة - بيروت (المكتبة الشاملة).
المرادي، أبو جعفر النحاس أحمد بن مُحَمَّد بن إسماعيل(١٤٠٨ه) "الناسخ والمنسوخ" تحقيق د مُحَمَّد عبد السلام مُحَمَّد النحاس، الطبعة الأولى، مكتبة الفلاح – الكويت.
المصري، ابن منظور"لسان العرب" .
المصري، شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد الهائم (١٩٩٢م) "التبيان في تفسير غريب القرآن" تح/د فتحي أنور الدابولي الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة.
المناوي، زين الدين مُحَمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (المتوفى:١٠٣١هـ) "الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي" تحقيق أحمد مجتبى، ط دار العاصمة ـ الرياض.
المناوي، عبد الرؤوف (١٣٥٦هـ) "فيض القدير شرح الجامع الصغير" الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر .
المناوي، مُحَمَّد عبد الرؤوف(١٤١٠هـ) "التوقيف على مهمات التعاريف" تحقيق د مُحَمَّد رضوان الداية، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر بيروت دمشق.
النحاس (١٤٠٩ه) "معاني القرآن" تحقيق مُحَمَّد علي الصابوني، الطبعة الأولى ـ
النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الثعلبي (١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م) "الكشف والبيان" تحقيق الإمام أبي مُحَمَّد ابن عاشور مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان.

Heresies of Raafidis and Sufis in the exegesis of Elzimkhshari between the Context and the semantic

Abdel Hadi Ahmed Sayed Abdel Aal
Assistant Professor at the Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Hail University

Abstract

This paper reviews some of viewpoints about the intent of God, in addition to, what is required by the context and the purpose, which are said, heresies of Raafidis and Sufis by Imam Elzimkhshari. The methodology of this research includes a brief presentation about Imam Elzimkhshari, the concepts of heresy, Raafidis, Sufis, context and semantic, then displaying and discussing these views rhetorically in the guidance of context, either in general or in particular, in order to show their mistakes in an attempt to defend the Holy Koran and the intent of God as much as possible according to the inference of mind based on the legitimate evidences in order to demonstrate the gravity of these heresies and warning from them.

Key words: Heresy, Raafidis, Sufis, context, semantic, purpose, rhetoric